والحرمات قصاص: الشجرة المقدسة وعاقبة أمر قاطعها

د. مجدي صبحي الهواري
كلية الآداب – جامعة المنصورة

Abstract: This essay entitled "And the sanctities are retribution: The sacred tree and the sanction of its cutter". It deals with the penalty of that person who cut the sacred tree. It examines the role of the goddess which tree is sacred to her. The sacred trees in ancient Greek and Roman sources were existed for the specific purpose of linking the sacred realm of the gods and the profane world of humans. The pious man must not to cut the sacred tree. The sacredness of the tree was belonging to certain gods, such as, the oak tree was sacred to the goddess Demeter (Ceres). Erysichthon was an impious man, and angers the goddess Demeter (Ceres) by cutting down the oak tree which sacred to her. The story is mentioned in Callimachus and Ovidius, and shows that Erysichthon's careless to the nature and his lack of interest for the gods causes a dangerous sickening emptiness within him. Demeter (Ceres) demands from the goddess of hunger to make Erysichthon feeling with hungry always. The hungry made escaping from consumption is impossible, in turn, has consumed his whole being. The penalty for ignoring the sanctities is only destruction.

كان الارتباط الأكثر شيوعًا بين المعبد الصغير وعالم الطبيعة يتم من خلال بستان من أشجار البلوط أو أشجار السرو ونبع وفير المياه بوصفه مصدرًا جيدًا للمياه العذبة. وقد كانت معابد الربة ديميتر(Demeter)، وفي كثير من الأحيان معابد آلهة أخرى تقع داخل الأشجار[1]. وقد شكل قطع الأشجار أو تدنيس البستان من خلال استخدامه فى غرض غير مقدس، عملا غير متقبلا، وقد أجمعت الأدلة ذات الصلة عند اليونان والرومان، كما هو الحال في العديد من المجتمعات الأخرى، على

[1]- Susan-Marie Cronkite, The Sanctuary of Demeter at Mytilene: A Diachronic and Contextual Study, Ph. D, University of London 1979, p. 102.

أن ذلك العمل الشائن قد تم شجبه من المجتمع والآلهة على حد سواء. فلقد كان من الصعب معرفة والكشف عن الأرواح التى تسكن الأشجار وبالتالى قد تكون أى شجرة، شجرة مقدسة ويصبح قطعها عملا ينطوى على إثم كبير[٢].

وكانت شجرة البلوط من بين الأشجار التى حازت قدسية خاصة فإلى جانب ارتباطها فى الغالب بعبادة الإله زيوس (Zeus) (جوبيتر)، فإننا نجد أوفيديوس (Ovidius) يجعل ديميتر (كيريس) (Ceres) حامية خاصة للبلوط الذي ينمو فى بستانها، حيث يصف البلوط بأنه شجرتها المقدسة (sacrum robur)، وذلك خلال روايته لأسطورة إريزيخثون (Erysichthon) ذلك البائس الذى تجرأ على الربة وانتهك مقدساتها وقام بقطع شجرة البلوط العريقة المقدسة لها، وتشير المصادر المختلفة أن الربة أنزلت بإريزيخثون عقابًا شديدًا بعد أن قام بانتهاك حرمة بستانها، والشيء المثير للانتباه في رواية أوفيديوس هذه، هو أن الشاعر يجعل إريزيخثون يؤكد بنفسه على منزلة البلوط العالية عند الربة ديميتر، حيث إن إريزيخثون ما أن رأى خدمه يتلكأون فى تنفيذ أوامره التى أصدرها لهم بقطع الشجرة، حتى قام بانتزاع البلطة من يد أحد رجاله، وهم هو بقطع الشجرة وتجرأ على الربة ومقدساتها[٣]؛ قائلًا:

"Non dilecta deae solum, sed et ipsa licebit
sit dea, iam tanget frondente cacumine terram."
(Ovid., Met. VIII, 758 -9.)

"حتى وإن كان من الجائز أن هذه الشجرة هى الربة نفسها ولم تكن محبوبتها فقط، فإنها سوف تقع على الأرض بقمتها المورقة حالًا."

(2)- Richard F. Thomas, "Tree Violation and Ambivalence in Virgil", *Transactions of the American Philological Association* (1974-), Vol. 118 (1988), p. 263.

(3)- Maria Barbara Kozakiewicz, The Imagery of Ceres in Representations of Imperial Women in the Julio-Claudian Period, Ph. D., Canada 1998, p. 195; Cf., Ovid. Met., VIII, 754-7.

والراجح أن البلوط قد ارتبط بعبادة الربة ديميتر منذ فترة مبكرة، حيث يتحدث باوسانياس (Pausanias) عن بساتين البلوط التى كانت تحيط بالكهف الذى اختفت فيه الربة ديميتر إثر اختطاف ابنتها بيرسيفونى، والذى كان يوجد فى فيجاليا (Phigalia) بأركاديا (Arcadia):

Δήμητρος δὲ ἄντρον αὐτόθι ἱερὸν ἐπίκλησιν Μελαίνης.
(Paus., 8, 42, 1.)

"هناك يوجد كهف مقدس خاص بالربة ديميتر التى تحمل لقب "المتشحة بالسواد".[٤]

وفي هذا الكهف، اختفت الربة ديميتر وهي ترتدى ملابس الحداد، بسبب غضبها من بوسيدون وحزنها على اختطاف ابنتها بيرسيفوني، وتخلت ديميتر عن مهامها الرئيسة فى مجال الخصب والحرث والزرع والحصاد بوصفها ربة الحنطة، وتركت المحاصيل تتداعى والبشر يهلكون، وفى تلك الأثناء لم يكن هناك إله يعرف مكانها[٥]. ولكن الإله بان (Πάν) أثناء جوالات صيده زار أركاديـــا، وتلصص على ديميتر بينما كانت تجلس حزينة في كهفـــهـــا، وأخبر زيوس بأمرهـــا، فأرسل إليها ربات الأقدار يواسينهـــا ويقنعنهـــا بالعـــودة إلى مهامها وأن تُهدِأ من غضبها (καὶ ἀποθέσθαι μὲν τὴν ὀργήν)، وتُخفف عن كاهلها، وبعد أن خرجت ديميتر من

[٤]- وفي هذه الفقرة يشير باوسانياس إلى أن أهل فيجاليا يتفقون مع الرواية التى تقول بأن الربة ديميتر قد تزوجت من الإله بوسيدون وأنجبت منه ابنة، اسماها الأركاديون باسم ديسبوينا Despoina ويقولون أنها وضعتها فى ذلك الكهف (cf., Paus., 8, 42, 1). وكانت تعبد فى أركاديا جنبا إلى جنب مع والدتها ديميتر، كواحدة من الشخصيات المركزية في عبادات الأسرار بإليوسيس. ولم يكن مسموحًا بالكشف عن اسمها الحقيقي إلا لمن ينخرطون في أسرارها. (cf., Paus., 8, 37, 9).

[5]- cf., Paus., 8, 42, 2.

الكهف أقام لها أهل فيجاليا تمثالا خشبيًا يصورها جالسة واعتبروا هذا الكهف مكانا مقدسا للربة ديميتر[٦].

وبمرور الزمان أهمل الأركاديون آكلوا الجوز (ثمار البلوط)، طقوس ديميتر وتجاهلوا احتفالاتها، فحلت المجاعة بأرضهم؛ وأسرعوا إلى الكاهنة البيثية يستشيرون النبوءة، ينشدون حلا لما هم فيه من جوع وقحط شديدين؛ (ἥκετε πευσόμενοι λιμοῦ λύσιν ἀλγινόεντος) "جئتم تبحثون عن حل للمجاعة الشديدة"، وأخبرتهم النبوءة أن الحل هو استرضاء الإلهة عن طريق تقديم القرابين وتزيين فتحة الكهف برموز إلهية [٧].

يؤكد النص على وجود البلوط فى فيجاليا حيث يقيم الأركاديون، الذين يقدسون الربة ديميتر التى كان لها الفضل فى انتقالهم من الاعتماد فى طعامهم على ثمار البرية، إلى الاعتماد على الحبوب والحنطة. ويؤكد باوسانياس فى الفقرة الثانية عشر من الفصل ٤٢ من الكتاب الثامن وجود بستان بلوط عند كهف ديميتر فى فيجاليا ويضيف أمرا هاما وجد فى أغلب البساتين المقدسة، ألا وهو وجود ينبوع ماء فى البستان:

ἔστι δὲ δρυῶν τε ἄλσος περὶ τὸ σπήλαιον
καὶ ὕδωρ ψυχρὸν ἄνεισιν ἐκ τῆς γῆς.
(Paus., 8, 42, 12.)

"هناك بستان من البلوط حول الكهف،
وينبع من الأرض ينبوع ماء بارد."

كما يشير باوسانياس كذلك إلى أن أشجار البلوط كانت تمتد على طول الطريق من تيجيا (Τεγέα) إلى أرجوس (Argos)، حيث وُجِدَ معبد الربة ديميتر وسط هذا البلوط الكثيف:

κατὰ δὲ τὴν εὐθεῖαν αἵ τε δρῦς εἰσι πολλαὶ καὶ

(6)- Ibid., 8, 42, 3.
(7)- cf., Paus., 8, 42, 6.

Δήμητρος ἐν τῷ ἄλσει τῶν δρυῶν ναὸς.
(Paus.,8, 54, 5.)

"على طول الطريق المستقيم هناك العديد من البلوط،
وفي بستان البلوط يوجد معبد ديميتر ...."

وكانت الأيكة (البستان) تشمل أنواعًا مختلفة من الأشجار، وإن كان من الضروري أن تشتمل الأيكة المكرسة لمعبود معين على أشجار مقدسة لذلك المعبود، وإن كانت الأشجار المقدسة من الممكن أن تكون مكرسة لأكثر من معبود أو بطل؛ وقد خصصت أيكة من البلوط للربة ديميتر ربة المحاصيل، وكذلك لرسول الآلهة الإله هيرميس (Hermes)، وأيكة بلوط ثالثة للإله آريس (Ares) إله الحرب. كما أن الإله زيوس قد كرست له أيكة من الزيتون فى الوقت الذى كان فيه الزيتون من مخصصات الربة أثينا، كما كرست أيكة من الزيتون للربة أرتميس وأخرى للإله أبوللو (Apollo) [٨].

واللافت للنظر هنا أن ترنيمة كاليماخوس(Challimachus)"إلى ديميتر" جعلت بستان ديميتر هذا يحتوى على مزيج غير عادي من الأشجار، بعضها يحمل ثمارًا، وبعضها الأخر وخاصة الحور، يرمز إلى العالم السفلي؛ وكأنه يشبه إلى حد كبير حدائق الهيسبيريديات؛ لقداحتوى هذا البستان على أشجار الصنوبر وأشجار الدردار الكبيرة وأشجار الكمثرى وأشجار التفاح الحلو. وفي وسط هذا البستان كان يوجد حور عملاق؛ تلك هى الصورة التى صورها كاليماخوس فى الأبيات التالية:

τὶν δ᾽ αὐτᾷ καλὸν ἄλσος ἐποιήσαντο Πελασγοὶ
δένδρεσιν ἀμφιλαές· διά κεν μόλις ἦνθεν ὀιστός·
ἐν πίτυς, ἐν μεγάλαι πτελέαι ἔσαν, ἐν δὲ καὶ ὄχναι,
ἐν δὲ καλὰ γλυκύμαλα· τὸ δ᾽ ὥστ᾽ ἀλέκτρινον ὕδωρ
ἐξ ἀμαρᾶν ἀνέθυε. θεὰ δ᾽ ἐπεμαίνετο χώρῳ
ὅσσον Ἐλευσῖνι, Τριόπῳ θ᾽ ὅσον, ὁκκόσον Ἔννᾳ.

(8) Donald J. Hughes, Environmental Problems of the Greeks and Romans: Ecology in the Ancient Mediterranean, 2nd ed., USA 2014, p. 187.

(Callim., Hymn VI (to Demeter), 25-30.)

"وعندمـــا كان البلاسجيون لايزالـــون يقيمـــون فى دوتيـــوم ولـــم ينتقلوا بعد إلى أرض كنيدوس، أنشأوا فى هذه البقعـــة المقدسة غابة فيحاء كثيفة الأشجار، يصعب أن يخترقها سهم. وتعج هذه الغابة بأشجار الصنوبر، وأشجار الدردار الفخمة، وأشجار الكمثرى وأشجار التفاح الشهى، ويتدفق المـــاء من جداولها غزيرا رقراقا كالثريا. وقد شغفت الإلهة حبا بالمكان لدرجة الجنون، مثل حبها لإليوسيس وتريبيوم وإنـــا[٩]."

إنه ذلك البستان الذى كانت الربة مغرمة به نفس غرامها بمقر عبادتها الرئيس فى إليوسيس وغرامها بحدائق سهل إنا الزاهرة مقر أحد أهم معابدها[١٠].

وتأكيدا لدور الأشجار بشكل عام و شجر البلوط بوجه خاص فى عبادة الربة ديميتر، تحدث فرجيليوس عن ضرورة قيام كل مشارك فى احتفالات الربيع الخاصة بالربة كيريس (ديميتر)، تلك الاحتفالات التى عرفت باسم "أمبارفاليا"[١١]

---

[٩] - ترجمة: عبدالله حس المسلمى: عبدالله حس المسلمى، كاليماخوس القورينى: شاعر الإسكندرية، [القاهرة] (١٩٩٧-١٩٩٨)، ص ص ٢١٢-١٣.

(10)- Maria Barbara Kozakiewicz, op. cit., p. 83.

* ربما تركت الطبيعة الوفيرة لبستان ديميتر، وجزيرة هسبريديس (Hesperides)، وجزر النعيم التى أشار إليها هوراتيوس (Horatius) (Hor., Epod. 16, 63ff.)، انعكاساتها في الحدائق الجنائزية الرومانية، التي اشتملت على مجموعة متنوعة من أشجار الفاكهة: العنب، وحدائق الخضروات وكذلك الشجيرات المزهرة. (المرجع نفسه)

[١١] - في هذه المهرجانات، ضحوا بثور وخنزير وغنم، وقبل التضحية بالأضحية كان لها أن تطوف في موكب احتفائي ثلاث مرات حول الحقول؛ حيث يفترض أن ذلك العيد قد اتخذ اسمه من الفعل (ambio) الذي يعنى "أذهب فى جولة – تجول"، والاسم (arvum) ويعنى "الحقل". هذه التضحية كانت تسمى سوفيتوريا في اللاتينية. كانت هذه الأعياد من نوعين، العامة والخاصة. حيث قام سادة الأسر، يرافقهم أطفالهم وخدمهم بتقديم تلك القرابين في قرى ومزارع روما. كذلك تم الاحتفال بها من قبل الجمهور في مراسم رسمية بالمدن، والذي سار فيه ١٢

(Ambaravalia)، والتى كانت تعقد فى شهر مايو من كل عام، وكان الهدف منها ضمان خصب الزراعة الرومانية، بارتداء تاج من أغصان البلوط وذلك طبقا لما ورد فى الكتاب الأول من الزراعيات الذى من الواضح أنه مخصص للربة كيريس؛ وكانت الطقوس التى تجري في هذه الاحتفالات تشمل اقتياد الأضاحي لتطوف ثلاث مرات حول الحقول النضرة التى زينتها بواكير الثمار والحبوب، ويقوم الناس الذين ارتدوا تيجان البلوط بدعوة كيريس إلى منازلهم(١٢). حيث يقول فرجيليوس:

terque novas circum felix eat hostia fruges,
omnis quam chorus et socii comitentur ovantes,
et Cererem clamore vocent in tecta; neque ante
falcem maturis quisquam supponat aristis,
quam Cereri torta redimitus tempora quercu
det motus incompositos et carmina dicat.
(Virg., Georg., I, 345-350.)

"اترك الأضحية الثمينة تطوف حول بواكير الثمار ثلاث مرات، مصحوبة بحشود المحتفلين، من الرفاق مرتفعى الصيحات، ودعهم يدعون الربة كيريس بصوت عال إلى منازلهم، ولا تدع أحدا منهم يصوب منجله إلى قرون الحب الناضجات، قبل أن يرتدى تاجا من البلوط، ويرقص رقصات غير مألوفة، وينشد أغانى للربة كيريس."

وكانت الربة كيريس قد قامت بمنح البشرية هبة الزراعة، وكان على البشر إتقان الكثير من المبادئ والقواعد التى يجب إتقانها من أجل مباركة الربة لتلك النعم

شجاعًا علي رأس موكب للمواطنين، الذين كانوا يملكون أراضي وكرومًا في روما. خلال الموكب، ستقدم الصلوات إلى الإلهة.

- Ambaravalia in: Abraham Rees, The Cyclopaedia; Or, Universal Dictionary of Arts, Sciences and Literature, Vol. 2, London 1819.
- Robert J. Ball, Tibullus the Elegist: A Critical Survey, Columbia (1983), p. 162; cf. Virg., Georg., I, 345-350; cf. Macrob., Sat., III, 5, 7.

(12)- Maria Barbara Kozakiewicz, op. cit., p. 195.

التى تنتج عن الزراعة. وبهذا ارتبطت كريس ارتباطًا وثيقًا بإنقاذ البشرية من حتمية نهاية العصر الذهبي وفشل الطبيعة في التخلص من فضله دون كد؛ فلم يعد بإمكان البشر الحصول على الطعام بدون ثمن، لكن لديهم الفرصة لممارسة العمل الذي يوفر فرصة جيدة لمكافأتهم قدر عملهم والحصول على قوتِهم اللازم لمعيشتهم[١٣]؛ وكان البشر من قبل يعتمدون على الثمار البرية وبوجه خاص ثمار البلوط (الجوز) الذى تميزت به دودونا، وذلك طبقا لما ورد عند فرجيليوس فى الكتاب الأول من الزراعيات، حيث يقول:

Prima Ceres ferro mortalis vertere terram
Instituit, cum iam glandes atque arbuta sacrae
deficerent silvae et victum Dodona negaret.
(Verg., Georg., I, 147-149.)

" كانت كيريس أول من دفعت البشر أن يتحولوا بمعاولهم إلى الأرض،
حيث إن ثمار الجــوز والتوت البرى قد اختفت من الغــابة المقدسة،
وامتنعت دودونا عن مدهــم بالطعــام."

وبعد إنعام ديميتر على البشر، كيف أعرض إريزيخثون ونأى بجانبه عن ربة الخير العميم؟ ولماذا مسه الشر بعد اقترافه الذنب الكبير؟ وما هو ذاك المرض الخطير الذى أصابه؟ أولم يحذر العقاب الشديد؟ وما هى نهاية من أراد بالمقدس سوءا؟

من الواضح هنا أن تلك القصة قد حازت مساحة لا بأس بها فى المصادر اليونانية واللاتينية، حيث وجدت بشيء من التفصيل عند كل من: الشاعر السكندرى كاليماخوس والشاعر الرومانى أوفيديوس، والتى تتمحور حول قيام إريزيخثون بالتجرأ على المقدسات وقطع الشجرة المقدسة التى كانت توجد فى بستان الربة ديميتر فى أرباض معبدها فى ثيساليا (Θεσσαλία).

(13)- Lee Fratantuono, "Tumulum Antiquae Cereris: Virgil's Ceres and the Harvest of Troy." ***Bolletino di studi latini*** XLV.II (Luglio-Dicembre 2015), p. 459.

والراجح أن أول ذكر لقصة إريزيخثون بصورة متكاملة الجوانب إلى حد كبير، يأتى عند الشاعر السكندرى كاليماخوس (٣٠٥/٣١٠- ٢٤٠ق.م.)، فى إنشودته "إلى ديميتر"، ويبدأ الشاعر هذه القصة بوصف رغبة إريزيخثون فى قطع شجرة البلوط هذه بأنها "رغبة خسيسة"(χείρων βωλά)، ومن أجل تنفيذ رغبته تلك جمع عشرين خادما قويا للقيام بتلك المهمة، حيث يقول كاليماخوس عن إريزيخثون ما يلى:

τὶν δ᾽ αὐτᾷ καλὸν ἄλσος ἐποιήσαντο Πελασγοὶ
δένδρεσιν ἀμφιλαές· διά κεν μόλις ἦνθεν ὀιστός·
ἐν πίτυς, ἐν μεγάλαι πτελέαι ἔσαν, ἐν δὲ καὶ ὄχναι,
ἐν δὲ καλὰ γλυκύμαλα· τὸ δ᾽ ὥστ᾽ ἀλέκτρινον ὕδωρ
ἐξ ἀμαρᾶν ἀνέθυε. θεὰ δ᾽ ἐπεμαίνετο χώρῳ
ὅσσον Ἐλευσῖνι, Τριόπῳ θ᾽ ὅσον, ὁκκόσον Ἔννᾳ.
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 31-36.)

"عندما أصبحت طاعة الآلهة تمثل عبئا ثقيلا على ابن تريوباس،

عندئذ تملكت رغبة دنيئة من إريزيخثون،

قام بجمع عشرين خادما من خدمه، جميعهم فى غاية القوة،

وجميعهم عمالقة يستطيعون رفع مدينة كاملة،

وتم تسليح كل منهم ببلطة مزدوجة وبالفؤوس.

هرع الوقحون إلى أيكة ديميتر. "

ثم يقدم الشاعر وصفا سريعا لشجرة الحور هذه ويذكر احدى وظائفها الدينية، والتى تمثلت فى كون الشجرة موئلا للحوريات في وقت القيلولة، وألمح إلى سمة دينية أخرى تميزت بها الشجرة، ألا وهى كونها تتألم لإصابتها وتصرخ مستغيثة وكأنها بشر، وإن كان هنا يذكر أنها عبرت عن ألمها بأناتها التى كانت بمثابة تحذير لبقية أشجار البستان المقدس، حيث يقول كاليماخوس:

ἧς δέ τις αἴγειρος, μέγα δένδρεον αἰθέρι κῦρον,
τῷ δ᾽ ἔπι ταὶ νύμφαι ποτὶ τῶνδιον ἐψιόωντο,
ἃ πράτα πλαγεῖσα κακὸν μέλος ἴαχεν ἄλλαις.

(Callim., HymnVI (to Demeter), 37-9.)

" كانت توجد هناك شجـــرة حـــور باسقة تصل إلى عنان السماء، حيث كانت الحوريات وقت الظهيرة تتريضن تحتها، وعندما ضُرِبت هذه الشجرة لأول مرة بقسوة، صرخت منبهة الأخريات."

ويشير كاليماخوس إلى أن الربة ديميتر قد استشاطت غضبا عندما سمعت أنَّـــات الشجرة، حيث أدركت أن شجرتها المقدسة تعانى من اعتداء غاشم، وتساءلت من تجرأ على إيذاء شجرتى المحبوبة؛ وقامت بالتنكر فى هيئة كاهنتها التى تدعى نيكيبى (Nicippe- Νικίππη) وحملت بيدها المتعلقات التى تؤكد أنها الكاهنة (التاج وغصن من أغصان نبات الخشخاش والمفتاح الذى يتدلى من كتفها)، بقوله:

ἄσθετο Δαμάτηρ, ὅτι οἱ ξύλον ἱερὸν ἄλγει,
εἶπε δὲ χωσαμένα "τίς μοι καλὰ δένδρεα κόπτει;"
αὐτίκα Νικίππᾳ, τάν οἱ πόλις ἀράτειραν
δαμοσίαν ἔστασαν, ἐείσατο, γέντο δὲ χειρὶ
στέμματα καὶ μάκωνα, κατωμαδίαν δ' ἔχε κλῆδα.
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 40-4.)

"وعندما أدركت ديميتر أن شجرتها المقدسة تتألم، عندئذ غضبت، {وقالت}:"من يقطع شجرتى الجميلة؟". وفى الحال تمثلت في هيئة كاهنتها نيكيبى التى عينتها المدينة لتكون كاهنة عامة لها. وأمسكت فى يدها إكليلها ونبات الخشخاش ومفتاحها يتدلى من كتفها."

ترى ماهى الرسالة التى أرادت ديميتر أن توصلها إلى المعتدى وهى على هذه الهيئة، هيئة الكاهنة نيكيبى؟

يتضح من النص أن ديميتر أرادت أن تعيد المعتدى إلى صوابه وأن تجعله يتذكر سلطان الآلهة وقدرتها على إنزال العقاب الشديد بمن يُقْدِم على انتهاك مقدساتها، حيث يقول كاليماخوس:

φᾶ δὲ παραψύχοισα κακὸν καὶ ἀναιδέα φῶτα
"τέκνον, ὅτις τὰ θεοῖσιν ἀνειμένα δένδρεα κόπτεις,
τέκνον ἐλίνυσον, τέκνον πολύθεστε τοκεῦσι,

παύεο καὶ θεράποντας ἀπότρεπε, μή τι χαλεφθῇ
πότνια Δαμάτηρ, τᾶς ἱερὸν ἐκκεραΐζεις. "
(Callim., HymnVI (to Demeter), 45-9.)

"وقالت كلمات رقيقة لتهدئة الرجل الشرير والآثم:

" توقف يا بنى، يا من تقطع أشجارا مخصّصة للآلهة،

توقف يا بنى، انك نتاج رجوات ملحة من والديك،

توقف ورد أتباعك (عبيدك) كى لا تغضب سيدتك ديميتر.

ولا تفصل الجذع عن الأغصان المقدسة (ولا تدنس المكان المقدس)."

لكن إريزيخثون الشرير نظر إليها نظرة شرسة، نظرة لبؤة تدافع عن أشبالها ضد صائدى الأسود، وطلب منها الابتعاد حتى لا يضربها بالفأس، حيث إنه يريد أن يوسع مسكنه باستخدام هذه الأشجار التى يقطعها، ليستطيع دعوة رفاقه إلى المآدب الحافلة فى ذلك البيت، وهكذا كان حديثه متغطرسا ولذلك كانت الربة نمسيس (Nemesis - Νέμεσις) ، الربة التى تقوم بإنزال القصاص بمن يتعالى ويتباهى أمام الآلهة، حاضرة تسجل عليه ما يقول (Νέμεσις δὲ κακὰν ἐγράψατο φωνάν.) [١٤].

ويروى الراوى أن حديث هذا المتغطرس أغضب الربة ديميتر التى لم تجد بُدا من العودة إلى هيئتها الإلهية؛ الهيئة العظيمة التى أفزعت رفاق إريزيخثون ففروا هاربين، تاركين سيدهم وفؤوسهم بين الأشجار التى سبق القول بأنها أشجار مقدسة للآلهة (τὰ θεοῖσιν ἀνειμένα δένδρεα):

Δαμάτηρ δ᾽ ἄφατόν τι κοτέσσατο, γείνατο δ᾽ ἁ θεύς·
ἴθματα μὲν χέρσω, κεφαλὰ δέ οἱ ἄψατ᾽ Ὀλύμπω.
οἱ μὲν ἄρ᾽ ἡμιθνῆτες, ἐπεὶ τὰν πότνιαν εἶδον,
ἐξαπίνας ἀπόρουσαν ἐνὶ δρυσὶ χαλκὸν ἀφέντες·
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 57-60.)

(14)- Cf., Callim., Hymn VI (to Demeter), 50 – 56.

"وغضبت ديميتر وهي على غير هيئتها وعادت بسرعة إلى
طبيعتها الإلهية: وكانت تمشى على الأرض ورأسهـا تصل
إلى الأولمبوس، ولذلك عندمـا رأى هؤلاء سيدتهـم (الربة)
أصبحـوا أشبـاه موتى، وهربوا فجـأة، تاركين فؤوسهـم
البرونزية بين الأشجار:"

وتركت الربـة خـدم إريزيخثـون يهربون ولـم تعاقبهـم فقد فعلـوا مـا فعلوا وهم تحت سلطـان سيدهـم البائس؛ الذى سخـرت منه الربـة ووصفته بأنـه كلـب (κύων)، "هكـذا تحدثت كثيرا وأعـدت لإريزيخثـون داءً لعينـا" (ἀ μὲν τόσσ᾽ εἰποῖσ᾽ Ἐρυσίχθονι τεῦχε πονηρά.)، (البيت ٦٥ من الأنشودة).

ترى ما جزاء هذا المتفاخر المتغطرس الذى أصر أن يلحق بنفسه إثما مبينا وبالمقدسات انتهاكا عظيمًا؟

لقد باء بغضب عظيم من ربة الخير العميم، لقد أصابته بداء ليس له دواء، أصابته بنهم يحرق كل ما يأكله ويجعله دائما فى حاجة إلى المزيد من الطعام الذى لن يشبعه أيضا، وفى الوقت نفسه أصابه الإله ديونيسوس Dionysus بعدم الارتواء من شراب قط مهما شرب؛ وهو ما يرويه كاليماخوس فى الأبيات التالية:

αὐτίκα οἱ χαλεπόν τε καὶ ἄγριον ἔμβαλε λιμὸν
αἴθωνα κρατερόν, μεγάλᾳ δ᾽ ἐστρεύγετο νούσῳ.
σχέτλιος, ὅσσα πάσαιτο τόσων ἔχεν ἵμερος αὖτις.
εἴκατι δαῖτα πένοντο, δυώδεκα δ᾽ οἶνον ἄφυσσον·
τόσσα Διώνυσον γὰρ ἃ καὶ Δάματρα χαλέπτελ·
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 66-70.)

"وعلى الفور أرسلت إليه جوعًا قارصا وشرسا – جوعًا متقدًا وفتاكًا–
وقـد تعـذب بسبـب مرض خطيـر. كان يأكل دون كلل أو ملل،
وبقدر ما يلتهم من الطعام، بقدر ما تجتاحه رغبة فى الأكل مرة أخرى.
عشرون يعدون له الوليمة واثنتـا عشـرة يسكبون الخمر. حيث كانت

تلك الأشياء التى تغضب ديميتر، تغضب أيضا ديونيسوس[١٥]."

وجاء كثيرون يطلبون مشاركة إريزيخثون لهم ولائمهم التى يقيمونها فى مناسباتهم المختلفة ولكن والداه وقد تملكهم الخجل، اختلقا أعذارا متعددة عن عدم إمكانية مشاركة ابنهما فى أى من هذه المناسبات وحتى الاحتفالات العامة، فتارة تقول أمه أنه قد ذهب إلى مدينة أخرى يسترد دينا، وتارة تقول بأن خنزيرا بريا قد أصابه بجرح، فلزم الفراش، وعبر الشاعر عن تعاطفه مع والدة إريزيخثون التى تحملت عبء اختلاق الأكاذيب، ويكون ابنها – فى الحقيقة– داخل المنزل يلتهم كل ما يصل إليه من طعام، وكلما استزاد من الطعام كلما طلبت بطنه المزيد[١٦]، ويشبه الشاعر بطن إريزيخثون هذه بأعماق البحر التى تبتلع كل شيء دون أن تكتفى، حيث يقول:

κακὰ δ' ἐξάλλετο γαστήρ
αἰεὶ μᾶλλον ἔδοντι, τὰ δ' ἐς βυθὸν οἷα θαλάσσας
ἀλεμάτως ἀχάριστα κατέρρεεν εἴδατα πάντα.
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 88-90.)

"وثبت معدته النهمة بسرعة طالبة المزيد، وتدفق كل ما يأكله
إلى معدته عبثا ودون حمد، وكأنه يذهب إلى أعماق البحر."

لقد كان كل طعام يذوب فى معدته دون أن يترك أثرا، كما يذوب الجليد فوق جبل ميماس (ὡς δὲ Μίμαντι χιών)، وأجبره الجوع على أكل ما يلفظه الفقراء، وساد أسرته حزنا بالغا، فبكت أمه وكذلك مرضعته وخادماته العشر، وتألمت أخته، ورفع أباه يداه إلى

---

[١٥] - ارتبطت الربة ديميتر بالإله ديونيسوس بوصف كليهما صانعى الطعام والشراب للبشر، فقد كانت ديميتر هى من صنعت الخبز من القمح، وكان ديونيسوس هو من صنع شراب النبيذ من العنب. وكان حصاد القمح وحصاد العنب مناسبة للبهجة وإسعاد البشر، وقد عاش كل منهما معاناة خاصة، حيث عانت ديميتر من اختطاف ابنتها وعانى ديونيسوس من احتراق أمه وهو جنين فى بطنها؛ كما أن كل منهما كان يقدم له باكورة محصول نباته كقربان، فتقدم بشائر سنابل القمح للربة ديميتر وباكورة العنب للإله ديونيسوس.

– جمال الدين السيد أبو الوفا، صورة ديميتر (كيريس) فى الأدبين اليونانى واللاتينى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢، ص ص ٤٩–٥٠.

[16]- cf., Callim., Hymn VI (to Demeter), 72 – 88.

السماء، مناجيا الآلهة، مبتدءا بالإله بوسيدون، طالبـــا لابنه الشفـــاء من هذا الداء، أو أن يأخذه الإله عنده ويتولى أمـــر اطعامـــه بنفســـه، ولكن بوسيدون لم يعره اهتماما: (τοῖα τὸν οὐκ ἀίοντα Ποσειδάωνα καλιστρέων·) "فقد توسل عبثا إلى بوسيدون الذى لم يلتفت إليه"[١٧]. وإنما ترك إريزيخثون ليعيش مصيرًا أكثر قسوة وأشد إيلامً، حيث لم يجد أمامه من سبيل سوى الجلوس عند مفترق الطرق يتسول تارة ويأكل من النفايات تارة أخرى؛ طبقا لقول كاليماخوس:

καὶ τόχ᾽ ὁ τῶ βασιλῆος ἐνὶ τριόδοισι καθῆστο
αἰτίζων ἀκόλως τε καὶ ἔκβολα λύματα δαιτός.
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 114-5.)

"وذهـــب ابن الملك وجلـــس عند مفترق الطـــرق،

يتسول كسرات خبز، ويجمع من القمامة بقايا الولائم."

ويعبر الراوي عن مقته الشديد لما فعله إريزيخثون ويرجو ألا يشاركه صداقة ولا جيرة، فمن يغضب ديميتر يصبح بدون شك جار سوء؛ حيث قال الشاعر:

Δάματερ, μὴ τῆνος ἐμὶν φίλος, ὅς τοι ἀπεχθής,
εἴη μηδ᾽ ὁμότοιχος· ἐμοὶ κακογείτονες ἐχθροί.
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 116-7.)

" أيتها الربة ديميتر، أرجو ألا يكون مثل هذا الشخص الكاره لكِ، صديقا لى، وألا يكون مشاركا لى فى حائط (جارا لى)، إن جيران السوء مكروهين عندى."

ويعود الراوي إلى الاحتفال بالربة ديميتر، ويتم توجيه العذراوات والأمهات إلى الابتهال للربة ديميتر؛ فهى ربة الخير العميم (πολύτροφος) وسيدة محاصيل القمح الوفيرة (πουλυμέδιμνος)، ولذلك عليهن أن يسرن فى موكبها حفاة الأقدام، وشعر كل منهن مسترسل غير معصوب، وتسير كل واحدة قدر استطاعتها فليس على الحامل أن تسير طوال الموكب كما هو الحال بالنسبة إلى المسنات، وأن تسير الفتيات

(17) - Ibid., 91 – 105.

الصغار دون الحلم حتى محكمة المدينة وتواصل البالغات متابعة المسير وصولا مع الموكب إلى مذبح الربة، وبعد أن يفعلن هذا سوف تفيض الربة على كل منهن بواسع خيراتها. كما يجب على الجميع أن يبتهلن إلى الربة عندما يرونها فى موكبها، أن تحفظ على المدينة الوفاق والرخاء والسلام وأن تبارك زرعها وتهب حصادها الوفرة، وهذه الخاتمة الشعائرية لهذه الأنشودة الدينية، تعبر عن إيمان المتعبدين بقدرة ربتهم على أن تحفظ حياتهم وتوفر قوتَهم وطعامهم من عام إلى عام، فسوف تتقبل الربة صلواتهم وتستجيب دعاءهم(١٨). ما داموا هم لها عابدون وبفضلها ومعروفها مقرون ولسلطانها خاضعون ولمقدساتها محافظون على النقيض من ذلك الفتى المتهور إريزيخثون الذى لم يقدر الربة حق قدرها ولم يرع حرمة مقدساتها.

وكان الشاعر قد ابتدأ أنشودته بموكب الربة الاحتفالى متحدثا عن قدوم السلة المليئة ببشائر المحصول مع الربة وضرورة استقبال الربة بالتهليل والتحية من المؤمنين بها السابقين واللاحقين (المبتدئين فى الشعائر حديثا)، وقد أنهى الأنشودة أيضا بحديثه عن الموكب وعن المؤمنين الذين يبدو أن وجودهم كان سببا فى الحديث عن انتهاك إريزيخثون لمقدسات الربة، والذى استحق بموجبه العقاب الشديد، والراجح أن حديث الشاعر عن ذلك العقاب قد جاء لإرضاء المتعبدين المنخرطين فى عبادة ديميتر؛ وكان الشاعر قد استبق الحديث عن تجاوز إريزيخثون فى حق الربة، بحديث موجز عن مآثر ديميتر على البشر، حيث قامت بإهدائهم القوانين ومهارات الزراعة التى علمتها تريبتوليموس (Triptolemus) أولا؛ وجاء استدعاء مآثر ديميتر لمنح الربة مزيدا من الثناء ومن أجل تعظيم الإثم الذى ارتكبه إريزيخثون(١٩).

(18) -Cf., Callim., Hymn VI (to Demeter), 118 – 138.

(19)- Andrew Faulkner, "Fast, Famine, and Feast: Food for Thought in Callimachus' «Hymn to Demeter»", *Harvard Studies in Classical Philology*, Vol. 106 (2011), pp. 75-76.

ولكن ماذا عن وصف رفاق إريزيخثون بأنهم أشباه موتى (ἡμιθνῆτες) ؟

بداية يمكن القول بأن هذه الحالة التي بدوا عليها وكأنهم بين الموت والحياة، كانت تشكل نوعا من العقاب إذ أنها لم تلم بهم إلا عند رؤيتهم للربة ديميتر، كما يبدو أنهم كانوا أكثر إدراكا بحرمة ما أقدموا عليه من سيدهم إريزيخثون الذى لم يبالى من ظهور الإلهة وأصر واستكبر استكبارا، فكانت عاقبة أمره خسرا، حيث حرم من الشبع مما تجود به ربة خصوبة الأرض والحبوب والحصاد، أما رفاقه فقد ظنوا أنهم هالكون لا محالة فبدوا بين الموت والحياة (ἡμιθνῆτες).

وقد وردت هذه الكلمة (الصفة) من قبل، عند ثوكيديديس أثناء وصفه للطاعون الذى ضرب مدينة أثينا بين عامى٤٣٠ و٤٢٨ ق.م.، ذلك الطاعون الذى تسبب في الإخلال التام بالنظام الاجتماعي وفى إهمال طقوس الدفن الصحيحة نتيجة لتراكم الجثث الكثيرة. وقد لاحظ ثوكيديديس وجود من هم على مشارف الموت (ἡμιθνῆτες) وقد تجمعوا حول ينابيع المياه عسى أن تخفف المياه عنهم ما هم فيه [٢٠]:

νεκροὶ ἐπ᾽ ἀλλήλοις <καὼ> ἀποθνήσκοντες ἔκειντο καὶ ἐν ταῖς ὁδοῖς ἐκαλινδοῦντο καὶ περὶ τὰς κρήνας ἁπάσας ἡμιθνῆτες τοῦ ὕδατος ἐπιθυμίᾳ. (Thuc., II, 52.)

"وضعت جثث الموتى ومن يحتضرون فوق بعضها البعض

ملقون في الشوارع، وأنصاف الموتى حول جميع الينابيع،

في لهفة منهم إلي الماء."

من الواضح أن أنشودة كاليماخوس "إلى ديميتر"، كانت أنشودة دينية وأخلاقية في صياغتها. فإطار العمل عبارة عن خطاب موجه إلى المتدينين (Thesmophoriazousai) (المحتفلات بأعياد الثيسموفوريا)، ويتضمن الإشارة إلى طقس الصيام، "وفى هذا المقام، على أى شخص أن يتجنب التعدى {على المقدسات}" (ἵνα καί τις ὑπερβασίας ἀλέηται,) فإن التعدى على المقدسات جريمة سيئة

[20]- Saskia Peels, *HOSIOS:* A semantic study of Greek piety, Ph.D., Utrecht Univ. Netherlands (2014), p. 205.

السمعة، وهي السبب فى العقوبة التى لحقت بإريزيخثون ذلك الشخص الذى كان غير مؤمن بالربة الذى قام بقطع شجرة من بستان ربة الخصوبة، تلك الشجرة التي كان من المفترض أن تُترك دون أن يلمسها أحد ولا حتى يقلمها، وقد عوقب على فعلته بجوع دائم، جوع لا نهاية له إلا الهلاك. وكان المؤمنون قد قاموا بزراعة التربة وهاهم يجنون ثمار ما زرعوا ويتحولون من الصيام إلى الاستمتاع بخيرات الربة ديميتر، ولعقاب إريزيخثون وثواب المؤمنين مغزى أخلاقى كانت الأنشودة تدور فى فلكه [٢١].

وإن كانت تلك هى معالجة كاليماخوس لقصة عقاب إريزيخثون لارتكابه فعلا مُجرَما فى حق الربة ديميتر؛ ترى كيف عالج أوفيديوس تلك القصة ؟؟؟

وقبل أن نتحدث عن معالجة أوفيديوس لقصة عقاب إريزيخثون على قيامه بقطع شجرة البلوط (شجرة الحور عند كاليماخوس) يجدر بنا أن نشير إلى قصة مماثلة وردت فى مصدر سكندرى آخر ألا وهو أبوللونيوس (Apollonius) الروديسى (Ἀπολλώνιος Ῥόδιος) فى روايته "رحلة بحارة الأرجو"؛ حيث جاء ذلك على لسان العراف فينيوس (Phineus) الذى كان لا يهنأ بطعام قط، حيث كانت طيور الهاربيس (ἅρπυια) تختطف الطعام منه بمجرد وضعه أمامه عقابا له على الإساءة إلى أبنائه؛ وجاء بحارة الأرجو يبغون نبوءته فى مستقبل رحلتهم، كما أن الآلهة قد ساقتهم إليه ليخلصوه من الجوع [٢٢] الذى عانى منه طويلا، وبعد أن خلصه كل من كالائيس

---

[21]- Bulloch A. W., "Callimachus' Erysichthon, Homer and Apollonius Rhodius", *The American Journal of Philology*, Vol. 98, No. 2 (Summer, 1977), pp. 98-99.

[٢٢] - كان الجوع هو العقاب القاسى الذى أنزلته الربة ديميتر على إريزيخثون، منتهك المقدسات وقاطع شجرة الحور المقدسة لها – كما ورد عند كاليماخوس– وها هو أبوللونيوس الروديسى، يستخدم الجوع كنوع من العقاب الإلهى على إثم اقترفه بشرى، فيجعل الجوع يضرب العراف فينيوس، كنوع من العقاب الذى حل به بسبب إغضابه للآلهة حينما أساء إلى أبنائه ... حيث فقأت زوجته الثانية أعين ابنيه من زوجته الأولى (cf., Soph., Antig., 966–76)؛ لقد جعله الجوع يبدو كهيكل عظمى مغطى بالجلد؛ طبقا لتصوير أبوللونيوس له فى السطر ٢٠١، من الكتاب الثانى، "وكانت عظامه مغطاة بالجلد

(Κάλαϊς) وأخيه زيتيس (Ζήτης) – (Βορεάδαι) أبناء إله الرياح الشمالية اليونانى بورياس (Βορέας) – من الهاربيس، وبعد أن نبأ ياسون بالكثير مما سيلاقيه فى رحلته وما عليه فعله ليجتاز الكثير من العقبات، تمنى له ياسون أن يرد إليه الإله الذى يرعاه بصره، ولكن فينيوس– فى حواره مع ياسون– تمنى موتا قريبا، ففى رأيه أنه بلغ من الكبر عتيًا وأن عيناه لم يعد لهما علاج، واستمر حوارهما حتى بزغ الفجر وجاء المريدون يحملون الهدايا والعطايا للعراف، كى يتنبأ لهم بما يرغبون فى معرفته من أمر مستقبلهم، وجاء بارايبيوس (Παραίβιος) صديق فنيوس معهم، وقد بقى مع فنيوس والغرباء بعد رحيل المريدين، وبعد مغادرة بارايبيوس الردهة توجه فينيوس بالحديث إلى بحارة الأرجو وامتدح بارايبيوس الذى لم ينس لفينيوس أنه ساعده فى الخلاص من اللعنة[٢٣] التى أصابته بسبب قيام أبيه بقطع شجرة بلوط ورفضه الاستجابة إلى توسلات الحورية قرينة الشجرة من أجل أن يبقى على شجرة البلوط؛ ويسطر أبوللونيوس فى روايته حديث فنيوس عن بارايبيوس على النحو التالى:

ἀλλ᾽ ὅγε πατρὸς ἑοῖο κακὴν τίνεσκεν ἀμοιβὴν
ἀμπλακίης. ὁ γὰρ οἷος ἐν οὔρεσι δένδρεα τέμνων
δή ποθ᾽ ἁμαδρυάδος νύμφης ἀθέριξε λιτάων,
ἥ μιν ὀδυρομένη ἀδινῷ μειλίσσετο μύθῳ,
μὴ ταμέειν πρέμνον δρυὸς ἥλικος, ᾗ ἔπι πουλὺν
αἰῶνα τρίβεσκε διηνεκές· αὐτὰρ ὁ τήνγε
ἀφραδέως ἔτμηξεν ἀγηνορίῃ νεότητος.
(Apollon. Rhod., II, 475 - 481.)

"كان يدفع ثمن إثم اقترفه والده، حين كان يقطع الأشجار فى الجبل

فقط" (ῥινοὶ δὲ σὺν ὀστέα μοῦνον ἔεργον.)؛ وبعد أن يقوم فنيوس بإخبار البحارة أن ربات الغضب قد أصبنه بالعمى، نجده يشير إلى أن الجوع أسوء من فقد البصر:

"فقد لازمنى شر آخر هو الأكثر سوءا بين المصائب".

إن الهاربيس تختطف الطعام من فمى ..."

πρὸς δ᾽ ἔτι πικρότατον κρέμαται κακὸν ἄλλο κακοῖσιν.
ἅρπυιαι στόματός μοι ἀφαρπάζουσιν ἐδωδὴν
(Apollon. Rhod., II, 222- 23.)

(23)- cf., Apollon. Rhod., II, 426ff.

فى أحد الأيام، ورفض الاستماع إلى توسلات الحورية حامادرياس (ἁμαδρυάς) [٢٤]، بأن يبقى على جذع شجرة البلـــوط. كان عمـــر الشجرة فى مثل عمرها وكانت الشجرة مقرها الوحيد لعدة سنوات. كانت تبكى وتتوسل ولكنه كان فى سن الشباب بطيشها وتبجحها. فقطع الشجرة. ولكى تثأر منه دعت بأن تحل به وبأبنائه لعنة.[٢٥]"

ولكن بارايبيوس قد نجـــا مـــن اللعنـــة بعد أن استشـــار فينيوس الذى أخبـــره بأن عليـــه أن يقيـــم محرابـــا للحورية وأن يقـــدم أضحيـــة كقربـــان وأن يدعـــو الآلهة أن تحـــرره من خطيئة أبيه. "وهكذا نجـــا من {عقاب} ربة الموت المدفوعة من الآلهة"(ἐπεὶ ἔκφυγε κῆρα θεήλατον,) [٢٦].

---

[٢٤] - إن هذا الاسم المركب يحمل دلالة واضحة على الترافق الزمانى والمكانى الذى وجد بين حورية الشجرة وشجرة البلوط، حيث إن هذا الإسم (ἁμαδρυάς) الذى استخدمه أبوللونيوس لتسمية حورية الشجرة، يشير إلى كونه مركبًا من: (ἅμα) التى تعنى (متزامن – مترافق – فى نفس عمر) وكلمة (δρῦς) التى تعنى شجرة بلوط.

- Jackie Murray, "The Metamorphoses of Erysichthon: Callimachus, Apollonius and Ovid" in M.A. Harder e.o. (eds.) Callimachus II (Leuven 2004), p. 212.

[٢٥] – ترجمة: محمد حسن وهبة؛ انظر: محمد حسن وهبة، أبوللونيوس الروديسى، رحلة بحارة الأرجو، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٨٤، ص ٧١.

[26]- cf., Apollon. Rhod., II, 481 - 487.

* لقد كانت (Κήρ) الإلهة التي تهتم بأمر بعقاب من قتل نفسا بغير نفس، يذكر هيسيودوس Ἡσίοδος الربات كيريس (Κερες) بوصفهن بنات الليل (Νψξ)، وذلك فى الأبيات ٢١٠ – ٢٢٦ من عمله "أنساب الآلهة" (Θεογονία – Theogonía) تلك الأبيات التى يعدد فيه ذرية الليل، احدى ربات الجيل الأول مثلها مثل جايا وتارتاروس وإريبوس الذين أنجبهم الخواء (Χαος)، ويصف هيسيودوس الإلهات كيريس بأنهن ربات لا تأخذهن رحمة ولا شفقة بمن يعاقبنه وذلك بإيعاز من ربات القدر على ما يبدو. وكان الليل قد أنجب العديد من القوى التدميرية واالمشاعر السلبية التى ترتبط بالظلام؛ مثل: النوم والموت والمصير المحتوم والأحلام و النزاع واللوم والأسى، وغيرها. (cf., Hesiod., Theog., 210-26.)

ومن الواضح أن قصة قطع شجرة البلوط عند أبوللونيوس الروديسى لم تعرف شخصية الربة ديميتر، كما أن البطل فيها أصابه وابل نتيجة لعنة ورثها وليس بسبب إثم اقترفه بيديه، ويبدو أن ذلك كان سببا فى تمكنه من التطهر من ذلك الإثم بمساعدة العراف له، كما أن الحورية لم تُصِح طالبة العون كما حدث عند كاليماخوس، أما الالتماس أو الشفاعة فقد تقدمت بها الحورية لوالد بارايبيوس حتى لا يقطع الشجرة ولم تُجدِ الشفاعة نفعًا، حيث قام الرجل بقطع الشجرة وهو ما لم يحدث عند كاليماخوس الذى جعل ظهور الربة ديميتر على هيئة كاهنتها نيكيبي لتشفع للشجرة عند إريزيخثون إلى عدم قطع الشجرة، كما أن إعلان اللعنة (العقاب) عند كاليماخوس، قد جاء بواسطة ديميتر التى أنزلتها على الباغى وحققتها، أما عند أبوللونيوس فقد طلبت الحورية له اللعنة واستجابت الآلهة ونزلت اللعنة بالباغى على ما يبدو ووصلت لابنه، وإن كنا هنا لا نرى دورا ظاهرا للآلهة نظرا لكون القصة مختصرة بدرجة كبيرة، بوصفها رواية من شخص يتحدث عن موهبة العرافة التى منحتها له الآلهة وما جلبته له من شر ومن خير.

وإن كانت الربة ديميتر حاضرة بفاعلية فى كل عناصر القصة عند كاليماخوس، وليس لها وجود عند أبوللونيوس، فإن علينا الآن النظر فى أمر وجودها عند أوفيديوس ومدى فعالية هذا الحضور على الشجرة وقرينتها الحورية، وكذلك على شخص المعتدى وأسرته.

يتحدث أوفيديوس فى الكتاب الرابع من عمله "التقويم" حديثا طويلا عن الربة ديميتر، ويذكر أنه فى الثانى عشر من إبريل تحين احتفالات الربة، ويضيف أنه لا داعى للإفصاح عن أسباب إقامة تلك الألعاب الخاصة بديميتر، إلا أنه يوضح تلك الأسباب بعد قوله ذلك مباشرة، مقدما لذلك بقوله:

sponte deae munus promeritumque patet.
(Ovid., Fasti, IV, 394.)

"إن هبات الربة وفضلها واضحان للعيان[٢٧]".

فكان الناس قبل أن تجود عليهم كيريس بالطعام المفيد يأكلون العشب أو أغصان الأشجار وأوراقها، ثم أكلوا ثمار البلوط إلى أن جـــاءهم الفضل من ربة الخير و " استبدلت الطعام المفيد بالجوز" (mutavit glandes utiliore cibo) - البيت ٤٠٢ من الكتاب الرابع من "التقويم"- بأن أخضعت الثور لنير المحراث من أجل حرث الأرض وزراعتها [٢٨].

ولكن أوفيديوس لم يتعرض لقصة إريزيخثون فى عمله المعروف بالتقويم، وإنما أفرد لها مساحة واسعة فى الكتاب الثامن من "التحولات" (Metamorphoses)، وقد اشتمل الكتاب الثامن على العديد من قصص التحولات مثله فى ذلك مثل بقية كتب العمل الأخرى التى تسير فى نفس السياق، وكان أوفيديوس قد استبق قصة إريزيخثون برواية بعض قصص التحولات وذلك على لسان إله النهر أخيلؤوس[٢٩] (Achelous) الذى استضاف ثيسيوس ورفاقه أثناء عودتهم من صيد الدب الكاليدونى، ومحاولتهم عبور نهر أخيلؤوس الذى كان قد امتلأ بالمياه وفاضت ضفتيه بها، وقص عليهم تحولات إلهية معجزة، ومن بينها قصة الجزر الخمس التى شاهدها ثيسيوس وتعجب من أمرها، ويوضح أخيلؤوس، إله النهر، أن هذه الجزر لم تكن سوى

---

[٢٧] - ترجمة: نجوى أحمد مصطفى: انظر: الشاعر الرومانى أوفيديوس، التقويم، ترجمة: على عبد التواب على وآخرين، مراجعة وتقديم على عبدالتواب على، المركز القومى للترجمة، العدد٢٧٦٠، ط١ – القاهرة (٢٠١٦)، ص ٣٠٤.

[28]- cf., Ovid., Fasti, IV, 393-404.

[٢٩] – كان نهر أخيلؤوس هو النهر الذى عبرته ديميتر ثلاث مرات أثناء طوافها عبر الأرض بحثا عن ابنتها التى كانت قد اختفت من على وجه الأرض. (cf., Callim., Hymn to Demeter, 13)؛ ويحمل تكرار عبور الربة النهر دلالة على أن هذا النهر لم يكن قد بلغ بعد درجة الفيضان التى كان عليها أثناء محاولة ثيسيوس عبوره وتقديم إله النهر نصيحته إلى ثيسيوس أن ينتظر حتى تنحسر مياه الفيضان، وفى هذا إشارة إلى أن عبور ديميتر للنهر يعود إلى زمن بعيد. - Jackie Murray, op. cit., p. 226.

حوريات خمس فى الأصل قدمت القرابين لآلهة الريف الأخرى ونسينه. وعلى هذا فقد تميز أخيلؤوس غيظًا، وألقى بالحوريات ومراقصهن فى البحر حيث اتخذوا الآن شكلا أرضيًا على هيئة جزر(٣٠). أوضح إله النهر أيضًا أن هناك جزيرة أخرى تقع فيما وراء الجزر الخمس سابقات الذكر، وكانت فى الأصل ابنة هيبوداماس (Hippodamas)، وكانت عذراء سلبها أخيلؤوس عذريتها. وعندما بادر والدها برد فعل لهذا العمل المؤسف، وقام بإلقائها فى مياه نهر أخيلؤوس، حملها النهر بدوره إلى البحر ونجح بمساعدة الإله نبتونوس (Neptunus) بتحويلها إلى جزيرة يطلق البحارة عليها اسم "بيريملى" (Perimele) (٣١).

وقد تأثر مستمعوا أخيلؤوس بهذه القصص فيما عدا بيريثوس (Pirithous) ابن إكسيون (Ixion) ملك قبيلة اللابيث بثيسالي، الذى عبر عن عدم تصديقه لما يقال وعدم إيمانه بقدرة الآلهة على إحداث مثل هذه التحولات. فأخذ ليكيلس (Lelex) يقص عليهم – مواجهًا هذا الإدعاء– كيف قام جوبيتر وميركوريوس (Mercurius) بتحويل الزوجين الهرمين فيليمون (Philemon) وباوكيس (Paucis) الذين استضافا الإلهين فى منزلهما المتواضع بعد أن رفض أهل البلدة كلهم استضافتهما، ومكافأة الإلهين لهما بأن أنعما عليهما بخدمة عبادتيهما إلى أن حانت نهايتهما فحولاهما إلى شجرتين؛ وكان ليليكس قد روى هذه القصة ليبرهن لبيريثوس على أن:

Inmensa est finemque potentia caeli
non habet, et quidquid superi voluere, peractum est.
(Ovid., Met. VIII, 619- 720)

"قدرة السماء هائلة وليس لها حدود، وأن الآلهة فعلت ما أرادت"

وكان بيريثوس هذا مزدريا للآلهة (spretor) واتهم إله النهر "أخيلوؤس" بأنه يروى أحداثا من محض الخيال (افتراضات خيالية) (putae figurae)، أما ليليكس فقد كان

(30)- cf., Ovid., Met. VIII, 577-890.
(31)- Ibid, 590-610.

يؤمن بما قاله حيث إنه قد سمعه من شيوخ جادين (non vani senes)، علاوة على رؤيته أكاليل معلقة بأغصان الشجرتين (باوكيس وفيليمون) تقديسا لهما[٣٢].

والراجح أن سبب ورود شخصية بيريثوس ابن إكسيون لا يكمن فقط فى ذكر قصة العجوزين؛ فيليمون وباوكيس، وتحولهما إلى شجرتين متعانقتين على هيئة شجرة مقدسة، هجين من شجرة بلوط وشجرة زيزفون، وإنما هو أيضا تمهيد لشخصية إريزيخثون مزدرى الآلهة ومنتهك مقدساتها؛ وعلى النقيض من بيريثوس جاءت شخصية كل من الزوجين الذين أكرما وفادة الآلهة فأكرمتهما الآلهة؛ ولذلك جاء قول الراوي فى البيت ٧٢٧:

cura deum di sint, et qui coluere colantur.
(Ovid., Met. VIII, 727.)

"إن المتقين فى حفظ الآلهة، والذين حفظوا الآلهة حفظتهم"

وبعد أن فرغ ليليكس من رواية قصة الزوجين فيليمون وباوكيس، التى أثارت جميع الحاضرين، ثيسيوس ورفاقه، الذين كانوا يقضون ليلتهم فى منزل أخيلوؤس، لم تكن نفس ثيسيوس– الذي كان أكثرهم استثارة– قد شبعت من تلك الروايات التى تتحدث عن المعجزات الإلهية وكان يرغب فى سماع المزيد، تفضل أخيلؤوس برواية سلسلة من قصص التحولات التى اشتملت على قصة إريزيخثون (الأبيات ٧٣٨–٨٧٨). وكان إله النهر قد توجه بحديثه إلى البطل الشجاع ثيسيوس، ليخبره أن هناك مخلوقات قد تحولت إلى هيئة مخلوق آخر وظلت على هيئتها التى تحولت إليها، وهناك مخلوقات تعددت الهيئات التى تحولت إليها؛ وأوضح ذلك قائلا:

Sunt, o fortissime, quorum
forma semel mota est et in hoc renovamine mansit,
sunt, quibus in plures ius est transire figuras,
ut tibi, complexi terram maris incola, Proteu.
(Ovid., Met. VIII, 731- 4.)

(32)- Ibid., 612- 727.

""أيها البطل الأكثر شجاعة، هناك من تغير شكلها ذات مرة
إلى أشكال أخرى، منها ما ظل على الشكل الذى تحـول إليه.
ومنها من يتخذ أشكالا عديد مثلمـا حدث لـك يا بروتيـوس،
أيا ساكن البحر الذي يعانق الأرض."

وبدأ الراوي يعدد أشكال المخلوقات التى تحول إليها إله النهر بروتيوس، حيث إن بروتيوس قد ظهر على هيئة شاب كما تحول إلى أسد وهيئات أخرى يذكرها أوفيديوس على لسان نهر كاليدونيوس (Calydonius)، فى قوله:

Nam modo te iuvenem, modo te videre leonem;
nunc violentus aper, nunc, quem tetigisse timerent,
anguis eras, modo te faciebant cornua taurum.
Saepe lapis poteras, arbor quoque saepe videri;
interdum, faciem liquidarum imitatus aquarum,
flumen eras, interdum undis contrarius ignis.
(Ovid., Met. VIII, 735- 40.)

" لأن الناس قد شاهدوك شابًا في هيئتك مرة. ومرة شاهدوك أسدا في هيئتك، ومرة أخرى شاهدوك خنزيرًا شرسا، وها أنت صرت ثعبـانا يخشى الناس أن يلمسوه: بينما جعلتك القرون ثورًا. غالبًا ما سعيت أن تكون حجرًا، وأحيانا أيضًا شوهدت شجرة: وأحيانًا صرت نهرا يتخـذ مظهر مياه جارية، وفي بعض الأحيان، صرت نارا مناقضة للماء."

وكان هوميـروس قـد وصـف بروتـيوس بالرجـل العجـوز المحتـال (ὁ γέρων δολίης) والبارع فى التحولات، فقد اتخذ أشكالا كثيرة؛ وقد أشار هوميروس (Homerus) إلى حيل بروتيوس وتحولاته هذه، فى الكتاب الرابع من ملحمة الأوديسيا [٣٣]:

[٣٣] - ويفهم مما ورد فى الأوديسيا (أبيات ٣٥٥ وما بعدها من الكتاب الرابع) أن بروتيوس (Proteus) إله البحر وخادم الإله بوسيدون (Ποσειδάωνος ὑποδμώς) كان يقيم فى جزيرة فاروس (Pharos) الرملية التي تقع قبالة ساحل دلتا النيل فى مصر، وأنه كانت لديه القدرة على

ἀλλ᾽ ἦ τοι πρώτιστα λέων γένετ᾽ ἠυγένειος,
αὐτὰρ ἔπειτα δράκων καὶ πάρδαλις ἠδὲ μέγας σῦς·
γίγνετο δ᾽ ὑγρὸν ὕδωρ καὶ δένδρεον ὑψιπέτηλον.
(Hom., Ody., IV, 456-8)

"وبطريقة ما، تحول في البداية إلى أسد له لبدة،
ثم إلى ثعبان، ثم إلى فهد، وإلى خنزير ضخم؛
ثم تحول إلى ماء متدفق، وإلى شجرة عالية مورقة."

ومن الواضح أن شخصية إله النهر بروتيوس جاءت مدخلا مناسبا للحديث عن قصة إريزيخثون عن طريق ذكر ابنته التى عرفت بقدرتها على التحول إلى هيئات مختلفة، طبقا لقول الشاعر، عنها معقبا على حديثه عن بروتيوس الذى وصفه هوميروس بالمحتال كما سبقت الإشارة إلى ذلك، قائلا عنها:

Nec minus Autolyci coniunx, Erysichthone nata,
iuris habet. (Ovid., Met. VIII, 741- 2.)

"ولم تكن ابنة إريزيخثون، زوجة أوتوليكوس (Autolycus) [٣٤]،

قراءة المستقبل ومعرفة الغيب، حيث جاء تليماخوس (Telemachus) ابن أوديسيوس (Odysseus) إلى مينيلاوس (Menelaus) يسأله عن أبيه الذى تأخرت عودته إلى وطنه إيثاكا (Ithaca) بعد انتهاء حرب طروادة، فإذا بمينيلاوس يقص عليه حكايته مع إيدوثيا (Εἰδοθέη) ابنة إله البحر بروتيوس التى أرشدته إلى ضرورة امساكه بأبيها وسؤاله عما يريد أن يعرف، وعليه أن يعلم أن بروتيوس:

"سوف يحاول أن يتحول إلى جميع المخلوقات المتوحشة التى تسير على الأرض
وكذلك الماء والنار التى أشعلها الإله."

πάντα δὲ γιγνόμενος πειρήσεται, ὅσσ᾽ ἐπὶ γαῖαν
ἑρπετὰ γίγνονται, καὶ ὕδωρ καὶ θεσπιδαὲς πῦρ: (Hom., Od., IV, 417-8)

ونجح مينيلاوس فى العثور على بروتيوس الذى أخبره أن شقيقه أجاممنون (Agamemnon) قد قتل عند عودته إلى منزله، وأن أوديسيوس تقطعت به السبل عند الحورية كاليبسو (Calypso –Καλυψώ) على جزيرة أوجيجيا Ogygia.

[٣٤] - كان أوتوليكوس (Autolycus) رجلا ماكرا ولصًا ناجحًا، ولديه القدرة على تحويل مسروقاته إلى هيئات مختلفة عن أصلها، فقد كان يحول الأشياء السوداء إلى أشياء بيضاء اللون (candida de nigris et de candentibus atra)؛ كما يبدو أنه كانت لديه القدرة على الاختفاء

تمتلك قدرة أقل من ذلك".

وجدير بالذكر أن شخصية ابنة إريزيخثون (ميسترا)، لم تكن موجودة عند كاليماخوس، ويأتى ذكر أوفيديوس لها كرابط بين قصة أبيها والموضوع العام لقصيدته "التحولات" التى تتحدث عن التحولات التى حدثت لبشر وآلهة كثيرين إلى هيئات أخرى، ويتضح من مقارنة ميسترا بإله النهر بروتيوس أنها قد تمتعت بقدرات كبيرة على تغيير شكلها إلى كائنات أخرى وهى بهذا تمثل مدخلا مناسبا يستطيع الشاعر من خلاله سرد قصة إريزيخثون(٣٥).

ويعالج أوفيديوس قصة عقاب إريزيخثون فى الأبيات (٧٣٨– ٨٧٨) من الكتاب الثامن من التحولات؛ وفى الوقت الذى يدين فيه أوفيديوس للشاعر السكندري كاليماخوس بالكثير، فإن أوفيديوس قد أورد الكثير من التفاصيل التى حذفت عند كاليماخوس ومن بينها بالطبع ورود شخصية ميسترا التى اضطر أوفيديوس أن يستمدها من مصدر آخر، وذلك كى يوجد تحول في القصة (٣٦). فمن أين إذًا أتى أوفيديوس بها ؟

عن الأنظار، والراجح أنه كان يمتلك قبعة تخفيه من نفس نوع قبعة أبيه ميركوريوس (Mercurius) حيث يقول أوفيديوس عن مهارة وقدرة أوتوليكوس فى السرقة أنه: "ليس أقل شأنا فى هذا الفن من أبيه" (patriae non degener artis)؛ قارن (Ovid., Met. XI, 313-15). ويشير باوسانياس إلى أن أوتوليكوس (Αὐτόλυκος) كان يقيم فوق جبل بارناسوس (Parnassus) وأنه كان ابنا للإله هيرميس (Hermes)، قارن (Paus., 8, 4, 6).

(35)- Phillips O. C., "Lucan's Grove", *Classical Philology*, Vol. 63, No. 4 (Oct., 1968), pp. 297- 98.

(36)- Jerzy Manteuffel, Callimachus and Roman Poetry, *Eos C* 2013 / fasciculus extra ordinem editus electronicus, pp. 88-89.

* من الواضح أن إريزيخثون عند كاليماخوس كان شابا يافعا، لم يتزوج بعد حيث كان يعيش فى منزل والديه، والراجح أن تصويره صغيرا من ابتكارات كاليماخوس وعلى النقيض مما ورد عند هيسيودوس وكذلك أوفيديوس، الذين يصوران إريزيخثون والدا لميسترا التى ليس لها وجود عند كاليماخوس.

- Massimo Giuseppetti, "Two poets for a Goddess: Callimachus' and Philicus' Hymns to Demeter; In: Gods and Religion in Hellenistic Poetry, Hellenistica Groningana 16, Edited by: Harder M. A. , Regtuit R.F. and Wakker G.C. , Leuven- Paris (2012), p. 111.

من المثير للاهتمام، أن تسمية ابنة إريزيخثون باسم ميسترا (Mestra) لم تحدث عند أوفيديوس أبدًا. وإنما عرفها لنا عن طريق ورود إسمى زوجها ووالدها؛ وكانت طريقة الوصف هذه، طريقة اعتيادية في الشعر الملحمي بشكل عام[٣٧]. وكان هيسيودوس قد استخدم هذه الشخصية بهذه الطريقة، من أجل لفت الأنظار تجاه لُب الموضوع الذى تتم معالجته، ألا وهو شخصية الأب؛ فإحدى شذرات "كتالوج النساء" تذكرها بابنة إريزيخثون (θυγάτηρ᾽Ερυσίχθονος) التى عرفت كذلك عند أوفيديوس بإبنة إريزيخثون (Erysicthone nata) [٣٨]، وإن كان هيسيودوس يحدد اسمها بـــ ميسترا (Μήστρη)، حيث جاءت الشذرة على النحو التالى:

ἠ᾽οΐη θυγάτηρ᾽Ερυσίχθονος [ἀντι]θέοιο
. . . . . ου Τριοπίδαο
Μήστρη ἐυπλόκαμος, Χαρίτων ἀμαρύγματ᾽ ἔχουσα
(Hes., Catalouge, Fr. 43a. 2–4 .)

"أو مثل ابنة إريزيخثون عدو الإلهة

[.....] ابن تريوباس (Triopas)

ميسترا جميلة الشعر، التى حازت إشراقة ربات الفضيلة."

وفى الوقت الذى تشير فيه شذرة هيسيودوس إلى إريزيخثون، والد ميسترا، بوصفه عدوا للإلهة ([ἀντι]θέοιο)، دون توضيح سبب هذا العداء أو شكله؛ فإن أوفيديوس يقوم بتوضيح هذا الأمر، حيث يصف إريزيخثون، والد ميسترا، بالشخص "الذى أبدى ازدراء لسلطان الآلهة (qui numina divuum sperneret)، ذلك الشخص

---

(٣٧)- وبالمثل ها هى ألكميني (Alcumena - Ἀλκμήνη) توصف قبل ذكر اسمها باسم زوجها ثم يأتى ذكر اسم أبيها تابع لذكر اسمها عند هيسيودوس فى عمله "درع هيراكليس" :

ἢ οΐη προλιποῦσα δόμους καὶ πατρίδα γαῖαν
ἦλυθεν ἐς Θήβας μετ᾽ ἀρήιον Ἀμφιτρύωνα
Ἀλκμήνη, θυγάτηρ λαοσσόου Ἠλεκτρύωνος·
(Hesiod., Shield of Heracles, 1–3)

"أو إنها كانت قد غادرت المنزل وأرض الوطن مثله وجاءت إلى طيبة،
وراء أمفيتريون المحب للحرب – إنها ألكميني، ابنة إليكتريون الرجل المثير."

(38)- Ioannis Ziogas, Ovid and Hesiod: *The Metamorphosis of the* Catalogue of Women, Cambridge University Press, New York 2013, pp. 136-7.

الذى دفعه عدم توقيره للآلهة إلى ارتكاب إثم آخر؛ حيث هاجم بستان الربة كيريس (ديميتر) المقدس وتعدى ببلطته على أشجارها المقدسة أيضا؛ وهنا يتحول الحديث في هذه الأبيات عن الابنة إلى الحديث عن الأب، حيث قال:

Pater huius erat, qui numina divum
sperneret et nullos aris adoleret odores.
Ille etiam Cereale nemus violasse securi
dicitur[39] et lucos ferro temerasse vetustos.
(Ovid., Met. VIII, 741- 45.)

"كان والدها، الشخص الذى ازدرى سلطان الآلهة،
ولم يعد يحرق بخورا على مذابحها.
يقال أنه انتهك حرمة بستان كيريس ببلطة،
ودنس أشجارها المقدسة العريقة بالحديد."

وفى توضيح لأهم مظاهر قدسية شجرة البلوط التى اعتدى عليها إريزيخثون، يذكر الشاعر أنها شجرة ضخمة تمثل فى حد ذاتها روضة جميلة، كانت مقصدًا للمتعبدين يعلقون الأوشحة والأكاليل على أغصانها ويقيمون الصلوات تحتها؛ وهذا ما صوره أوفيديوس فى الأبيات التالية:

Stabat in his ingens annoso robore quercus,
una nemus; vittae mediam memoresque tabellae
sertaque cingebant, voti argumenta potentis.
(Ovid., Met. VIII, 746- 8.)

"وكانت توجـــد بينهم شجرة بلوط ضخمة وكأنها أيكة فى حد ذاتها تقف منذ زمن بعيد؛ وهناك أوشحة ولفائف وأكاليل وهى تذكاريات تشهد على صلوات أقيمت بين جوانبها."

---

[٣٩]- يستخدم أوفيديوس الفعل (dicitur) على أنه إشارة شعرية تلفت الانتباه إلى أنشودة كاليماخوس "الى ديميتر"، وهى النص المبكر الوحيد المعروف الذى يربط بين جوع إريزيخثون وجريمة العنف ضد الشجرة (محاولة قطع الشجرة). وعلى هذا فإن أوفيديوس يدعو القارئ المتعلم لأن يقارن روايته للقصة برواية كاليماخوس لها.

- Jackie Murray, op. cit., p. 210.

ومن الممكن القول بأن عملية تعليق صورة أو تمثال الإلهة أو كاهنتها فى الشجرة المقدسة؛ وكذلك تعليق حيوانات الأضاحي والقرابين المختلفة فى مرحلة لاحقة، لها أصول بدائية، ناتجة عن دوافع دينية عامة، مثلها فى ذلك مثل ربط تمثال الربة بسلسلة فى الشجرة المقدسة، على اعتبار أن هذا يشكل حافزا يبعث على الاقتران مع القوى الإلهية الكامنة فى الأشجار. بالإضافة إلى أن الرقص حول الشجرة المقدسة كان سمة شائعة في ممارسة العبادة القديمة، وكان ذلك الطقس مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بتبجيل الأشجار واستنباط قوى خصوبة الطبيعية[٤٠].

والراجح أن هذا الأمر استمر فى عبادة الربة كيريس (ديميتر) مرتبطا بتقديس الأشجار، حيث يذكر أوفيديوس أن حوريات الأشجار كن يؤدين رقصاتهن عند شجرة البلوط العملاقة، الشجرة المقدسة للربة ديميتر، ربة الخصب والنماء والحصاد؛ حيث لم تكن الشجرة قبلة المتعبدين فقط، ولكنها كانت موئلا للحوريات، يطوفون حولها راقصين مبتهجين بظلها الظليل؛ حيث يقول:

Saepe sub hac dryades festas duxere choreas,
saepe etiam manibus nexis ex ordine trunci
circuiere modum, mensuraque roboris ulnas
quinque ter implebat. Nec non et cetera tantum
silva sub hac, silva quantum fuit herba sub omni.
(Ovid., Met. VIII, 749- 53.)

" كانت حوريات الأشجار فى الغالب يقمن بأداء رقصاتهن المبهجة تحتها (تحت هذه الشجرة)، واللائى كن غالبا يتشابكن بأيديهن مرتبين، يطوقونها على امتداد جذعها، وقد شغل حجم شجرة البلوط هذه قدر ثلاث مرات لحجم خمس أخريات، وبقية الأشجار فى الغابة تأتى أسفل من هذه الشجرة، مثلما تأتى الحشائش أسفل جميع الأشجار فى الغابة."

(40)- Karolyn Elizabeth Smardz, The Sacred Tree in Ancient Greek Religion, M.A., McMaster University, Canada (1979), pp. 23-4.

لكن ما مدى الارتباط بين الحوريات وأشجار البلوط؟

تشير الأبيات (٢٦٤ – ٢٧٢) من الأنشودة الهوميرية "إلى أفروديتى" إلى العلاقة الوطيدة بين الحوريات أو بالأحرى حياة الحوريات وبين الأشجار وتؤكد على أن حياتهما مشتركة. فعند ولادة حوريات الصنوبر أو حوريات أشجار البلوط العالية، خرجت الشجرة أيضًا إلى حيز الوجود؛ ونمت الشجرة بوصفها موطن الحورية. إن الأشجار هي "أرباض الخالدين المقدسة" (τέμενος). وعندما يدنو الموت من الحورية، تبدأ الشجرة فى الموت، وتترك الحورية والشجرة ضوء الشمس معًا. بسبب هذا الوجود التكافلي (المشترك)، فإن سقوط مثل هذه الشجرة هو إنهاء حياة حورية[٤١]؛ وهو ما قال به شاعر الأنشودة الهوميرية فى الأبيات التالية:

τῇσι δ᾽ ἅμ᾽ ἢ ἐλάται ἠὲ δρύες ὑψικάρηνοι
γεινομένῃσιν ἔφυσαν ἐπὶ χθονὶ βωτιανείρῃ,
καλαί, τηλεθάουσαι, ἐν οὔρεσιν ὑψηλοῖσιν.
ἑστᾶσ᾽ ἠλίβατοι, τεμένη δέ ἑ κικλήσκουσιν
ἀθανάτων· τὰς δ᾽ οὔ τι βροτοὶ κείρουσι σιδήρῳ·
ἀλλ᾽ ὅτε κεν δὴ μοῖρα παρεστήκῃ θανάτοιο,
ἀζάνεται μὲν πρῶτον ἐπὶ χθονὶ δένδρεα καλά,
φλοιὸς δ᾽ ἀμφιπεριφθινύθει, πίπτουσι δ᾽ ἄπ᾽ ὄζοι,
τῶν δέ θ᾽ ὁμοῦ ψυχὴ λείπει φάος ἠελίοιο.

(Hom. Hym., to Aphr., 264-72.)

"عندما يولدون {الحوريات} تنبت معهن أشجار البلوط ذات الأغصان العالية، وتنمو من الأرض الخصبة، الأشجار الجميلة، المزدهرة على الجبال الشاهقة، تقف باسقات، والناس يسمونهم أرباض الخالدين المقدسة. وعلى البشر ألا يقطعوها بآلة حديدية. ولكن عندما تأتى حتمية مشاركة الموت، تصبح هذه الأشجار الجميلة جافة بداية من الأرض، وفى البداية

(41)-Matthew P. J. Dillon, "The Ecology of the Greek Sanctuary", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*, Bd. 118 (1997), p. 119.

يجف لحائها، ثم تتساقط أغصانها من تلقاء نفسها، تخرج الروح منهما فى وقت واحد ويتركان ضوء الشمس سويا."

ويتضح من الأبيات السابقة ضرورة عدم قطع أشجار البلوط، ويبدو أن ذلك يعد تحريما لقطع الأشجار، فقد قال شاعر الأنشودة:"وعلى البشر ألا يقطعوها بآلة حديدية." (τὰς δ' οὔ τι βροτοὶ κείρουσι σιδήρῳ). وذلك على ما يبدو بسبب ترافق كل من الحورية والشجرة فى الروح (الحياة). والراجح أنه رواية الأنشودة الهوميرية هذه بعناصرها المختلفة تعود إلى أزمنة قديمة، حيث يشير باوسانياس إلي ذلك عندما كان يتحدث عن أصل تسمية تيثوريا (Τιθορέα) بهذا الإسم، ويذكر أن هناك من قال بأن الاسم يعود إلى قمة جبال بارناسوس، وأطلق على المنطقة كلها بعد ذلك، ويذكر باوسانياس أن أهل البلد الأصليين يقولون أن الروايات القديمة تقول بأنها أخذت اسمها من اسم حورية كانت تحمل نفس الإسم وأن هذه الحورية نتجت من أشجار البلوط:

Τιθορέᾳ δὲ οἱ ἐπιχώριοι τεθῆναί φασιν ἀπὸ Τιθορέας νύμφης, οἵαι τὸ ἀρχαῖον λόγῳ τῷ ποιητῶν ἐφύοντο ἀπό τε ἄλλων δένδρων καὶ μάλιστα ἀπὸ τῶν δρυῶν. (Paus., 9, 32, 9.)

" لكن السكان الأصليون يقولون عن تيثوريا (Tithorea) إنه من اسم الحورية تيثوريا، وهى وفقًا لرواية الشعراء فى ألأزمنة القديمة، واحدة من أولئك الذين نشأوا من أشجار مختلفة ومعظمها نشأ من البلوط."

ويتضح مما ورد فى الأنشودة الهوميرية إلى أفروديتي وما ورد عند باوسانياس الارتباط التام بين حياة كل من أشجار البلوط وحياة حوريات الأشجار؛ كما يتضح مما ورد عند أوفيديوس ضمن قصة إريزيخثون، أن إريزيخثون هذا كان على علم بأهمية هذه الشجرة ومع ذلك أصر على انتهاك حرمتها واستكبر على الآلهة

استكبارا، وهمَّ بقطعها بنفسه بعد أن رأى خدمه الذين كان قد أمرهم بقطعها يتلكأون فى تنفيذ أوامره؛ وهو ما عبر عنه أوفيديوس بقوله:

Non tamen idcirco ferrum Triopeius illa
abstinuit famulosque iubet succidere sacrum
robur; et ut iussos cunctari vidit, ab uno
edidit haec rapta sceleratus verba securi:
"Non dilecta deae solum, sed et ipsa licebit
sit dea, iam tanget frondente cacumine terram."
(Ovid., Met. VIII, 754- 9.)

"لكن ورغم ذلك لم يمنع ابن تريوباس حديدته عنها، وأمر خدمه أن يقطعوا شجرة البلوط المقدسة. وعندما رآهم يتلكأون فى تنفيذ ما أمرهم به، قام ذلك البائس باختطاف بلطة من يد أحدهم، متفوها بهذه الكلمات:"أو إن كانت {هذه الشجرة} ليست محبوبة فقط من الربة، حتى وإن كان من الممكن أن تكون هى الربة نفسها، فإننى سوف أوقعها على الأرض بقمتها المورقة حالا."."

وكأن هذا الشخص المتباهى الذي تحدى الآلهة يضرب بفأسه بشرا، أخذت الشجرة تتأوه ألما، بل وفاض جذعها المقطوع بالدماء؛ وذبلت أوراقها وجفت أغصانها؛ وهذا ما تصوره أبيات أوفيديوس التالية:

Dixit, et obliquos dum telum librat in ictus,
contremuit gemitumque dedit Deoia quercus:
et pariter frondes, pariter pallescere glandes
coepere ac longi pallorem ducere rami.
Cuius ut in trunco fecit manus impia vulnus,
haud aliter fluxit discusso cortice sanguis,
quam solet, ante aras ingens ubi victima taurus
concidit, abrupta cruor e cervice profundi.
(Ovid., Met., VIII, 760- 7.)

"وقد تفاخر هكذا وبينما كان الفأس يتأرجح فى حركات مائلة خلال القطع، بدأت شجرة البلوط الخاصة بالربة ديميتر ترتجف وتصدر أنينا:

وعلى حـــد ســـواء أصبحت الأوراق الخضراء شاحبة، وكذلك بدأت ثمار الجوز تتحول إلى اللون الشاحـــب لون الأغصان الطويلة؛ وعندما أحدثت اليد الآثمة جرحا فى الجذع، أخذت تفيض بالدمـــاء من البدن المقطـــوع، ولا يختلف ذلك عما هو معتاد عندما يذبح ثور ضخم عند المذابح كأضحية، ينفجر الدم متدفقا."

هذا ما فعله إريزيخثون؛ فماذا إذًا كان رد فعل الربة ديميتر على من انتهك مقدساتها؟؟؟

وهناك من يشير إلى أن أحكاما كثيرة كانت تصدر قديما ضد من يقوم بإصابة الأشجار المقدسة. ويشيرون إلى أنه في كثير من الأحيان، كانت عقوبة عملية قطع الشجرة التي تنتمي إلى أحد الآلهة هي حكم الإعدام، وكان يُنظر إلى خدش أو إحداث أضرار بالأشجار المقدسة على أنه يمثل إثارة غضب الإله أو الإلهة الذى أو التي تنتمى الشجرة إلي أيهما[٤٢].

ويبدو أن خدم إريزيخثون كانوا على علم بتلك العقوبات وبحرمة الاعتداء على المقدسات، حيث يذكر أوفيديوس أن رفاق إريزيخثون استاؤوا جميعا من تعديه على شجرة البلوط المقدسة، وأن أحدهم حاول منع المعتدى:

Obstipuere omnes, aliquisque ex omnibus audet
deterrere nefas saevamque inhibere bipennem.
(Ovid., Met., VIII, 768- 9.)

"وأصبح الجميع مستاؤون، وتجرأ شخص من بين جميع الخدم، وحاول أن يمسك بالبلطة الآثمة والقاسية ويعيقها."

ولكن المتكبر المتغطرس لا يبالى بأحد، يحاول اثبات وجوده ولكنه يجهل مصيره، وهكذا كان إريزيخثون الذى دفعه غروره إلى أن يقتل ذلك الرجل الذى حاول منعه

(42)- Karolyn Elizabeth Smardz, op. cit., p. 24.

من قطع الشجرة وانتهاك المقدسات، وهذا ما يتضح من تصوير أوفيديوس لرد فعل إريزيخثون على ذلك الرجل الصالح، كما فى الأبيات التالية:

Adspicit hunc “mentis” que “piae cape praemia!” dixit
Thessalus, inque virum convertit ab arbore ferrum
detruncatque caput repetitaque robora caedit,
(Ovid., Met., VIII, 770- 2.)

” فأخذ الثيسالي (إريزيخثون) ينظر إليه باهتمام، وقال له:

"فلتأخذ مكافأة تقواك" وحَوَل الفأس من الشجرة إلى الرجل

وقطع رأسه، ثم عاد ثانية وقطع شجرة البلوط.“

ألا أيها البائس إنك لم تدرك أنك بقطعك للشجرة تنهى حياة الحورية التى نبتت مع هذه الشجرة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل، وها هو الشاعر يصور لنا الشجرة تتكلم وتتنبأ بعقاب ذلك الرجل الآثم الذى تجرأ وقام بقطعها:

redditus et medio sonus est de robore talis:
“Nympha sub hoc ego sum Cereri gratissima ligno,
quae tibi factorum poenas instare tuorum
vaticinor moriens, nostri solacia leti.”
(Ovid., Met. VIII, 773- 76.)

”ولما عاد مرة ثانية إلى الشجرة خرج الكلام التالى من الشجرة من جوفها:

"أنا الحورية المحببة إلى الربة كيريس، أسكن تحت لحاء هذه الشجرة.

أنا من تموت الآن، أتنبأ لك بأن تحل بك عاقبة أفعالك، عزاء موتي".“

ومثلما لم يبال إريزيخثون بذلك الرجل التقى الذى حاول صده عن قطع الشجرة، لم يعر إريزيخثون ما سمعه من الحورية اهتمامًا وواصل العمل المشين دون توقف حتى تمكن من قطع الشجرة التى نظرا لضخامة حجمها وطولها احتلت مساحة كبيرة من الغابة بعد سقوطها، طبقا لما صوره الشاعر بقوله:

Persequitur scelus ille suum, labefactaque tandem
ictibus innumeris adductaque funibus arbor
corruit et multam prostravit pondere silvam.
(Ovid., Met., VIII, 777- 9.)

"وتابع عمله ذلك العمل المشين، وفى النهاية قُصِفت الشجرة
بضربات لاحصر لها، وذبلت الشجرة، وسقطت بأوراقها،
ووقعت بضخامتها على مساحة كبيرة من الغابة."

ولكن بقية الحوريات انزعجن لفعلة إريزيخثون هذه، وارتدين ملابس الحداد على أختهن شجرة البلوط، وأسرعن بمناشدة الربة ديميتر (كيريس) انزال العقاب بالمعتدى، وهو ما نفهمه من الأبيات التالية:

Attonitae dryades damno nemorumque suoque,
omnes germanae, Cererem cum vestibus atris
maerentes adeunt poenamque Erysichthonis orant.
(Ovid., Met. VIII, 780- 2.)

"جميع الأخوات، حوريات الأشجار، اللائى كن منزعجات
بسبب تدميره أيكتهن، محتدات بملابس سوداء، تضرعن
إلى الربة كيريس وناشدنها عقاب إريزيخثون."

وهنا تأتى لحظة العقاب بعد أن استجابت الربة لدعاء حوريات الأشجار، أمرت الربة بأن تقوم ربة الجوع (Fames) بزيارة إريزيخثون وبث قواها المهلكة فى أعماقه؛ وهو ما تقوله الأبيات التالية:

Adnuit his capitisque sui pulcherrima motu
concussit gravidis oneratos messibus agros.
Moliturque genus poenae miserabile, si non
ille suis esset nulli miserabilis actis,
pestifera lacerare Fame.
(Ovid., Met. VIII, 783- 7.)

"استجابت الربة السخية (لطلبهم) بإماءة من رأسهـــا وهاجمت
الحقول المحملة بالمحاصيل. وأنزلت بإريزيخثون نوعا من العقوبة
يبعث على الأسى على فرض أن هناك من يرثى له بسبب أفعاله،
وهو أن تهلكه ربة الجوع المدمرة."

وحيث إن عمل الربة كيريس ومهمتها هى ازدهار الحقول وخصوبة المحاصيل وحصادها الوفير، وبالتالى تتعارض مع الجوع ومع الربة المسئولة عن تحقيق المجاعة، فلم يكن من الممكن للربتين أن يلتقيان وجها لوجه، ولذلك فإن كيريس طلبت من إحدى حوريات الجبال أن تذهب إلى ربة الجوع وتبلغها بما أرادته كيريس؛ وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله:

Quae quatenus ipsi non
adeunda deae est (neque enim Cereremque Famemque
fata coire sinunt), montani numinis unam
talibus agrestem compellat oreada dictis:
(Ovid., Met. VIII, 787- 90.)

"والتى منذ حين لم يكن لها أن يتم الاتصال بها بواسطة الربة نفسها (وكتبت الأقدار على الربتين كيريس وربة الجـــوع ألا يلتقيان أبدا)، وتحدثت إلى الحورية أورياس (Oreas) الريفية إحدى ربات الجبال، بكلمات مثل هذه:"

وفى حديثها إليها، قدمت ديميتر (كيريس) لحورية الجبل وصفا لمحل إقامة ربة الجوع، التى كانت تسكن عند الحد الأقصى لمنطقة سكيثيا (Scythia)، حيث تقيم فى منطقة جدباء لا زرع فيها ولا ماء، يعمها البرد ويسودها اللون الشاحب، وعلى الحورية أن تطلب منها أن تنفث من روحها فى أعماق إريزيخثون، ونظرا لبعد المسافة أمرت كيريس الحورية أن تأخذ عربتها التى تجرها التنانين؛ طبقا لقول الشاعر:

"Est locus extremis Scythiae glacialis in oris,
triste solum, sterilis, sine fruge, sine arbore tellus;
Frigus iners illic habitant Pallorque Tremorque
et ieiuna Fames. Ea se in praecordia condat
sacrilegi scelerata iube; nec copia rerum
vincat eam, superetque meas certamine vires.
Neve viae spatium te terreat, accipe currus,
accipe quos frenis alte moderere dracones."
(Ovid., Met. VIII, 791-798.)

" توجد منطقة ثلجية عند الحد الأقصى لسكيثيا، إنها أرض موحشة، أرض جدباء، لا ثمـــر فيها ولا شجر؛ هنـــاك تسكن البرودة الساكنة والشحوب و الرجفة وربة الجـــوع الشرهة. فعليها أن تأمر المجاعة أن تصل بنفسها إلى أحشاء منتهك المقدســـات الدنســـة، ولا تهزمهـــا وفرة الموارد، فإن قدرتها تفوق قدراتى فى النزاع. ولا يخيفنك طول الطريق، لأن عليك أن تأخذى عربتي، فلتمسكى التنانين وتوجهينـــها عبر لجامها لتأخذك بعيدا."

وجدير بالذكر أن التناقض بين مهمة الربتين كيريس وربة الجوع يكمن فى أن الربة كيريس (ديميتر) ربة الخصب والنماء المسئولة عن توفير المحاصيل اللازمة لإطعام وإشباع البشر، أما ربة الجوع، فإن حلت بمكان أهلكت فيه الحرث والنسل، فها هو الشاعر يذكر أنها تقيم فى مكان متجمد، موقع كئيب، لا زرع فيه ولا حصاد، أرض قاحلة اتخذت موطنا للبرد والشحوب والحمى والجوع. كما يمكننا القول بوجود تناقض آخر يتمثل فى استخدام عربة الربة كيريس التى كانت تجرها الأفاعى، حيث إن هذه العربة التى استخدمت فى استدعاء ربة الجوع قد استخدمت من قبل فى منح البشر فن الزراعة وهبة الطعام النافع الذى يعتمد على الحبوب؛ فقد كانت مركبة كيريس هذه هى الوسيلة التى ساعدت فى نشر زراعة القمح على يد تريبتوليموس (Triptolemus)، الذى عاد محصوله بالخير الكثير على البشر وأبدلتهم كيريس الطعام النافع بدلا من ثمر البلوط (الجوز)[٤٣]، حيث إن الربة كانت قد قدمت بذور القمح إلى تريبتوليموس وأمرته أن يبذرها فى أنحاء الأرض جميعا، ومنحته حق استخدام عربتها التى تجرها الأفاعى كى يطوف بها الأرض ليعلم البشر الزراعة، عبر قيامه ببذر البذور فى مساحات مختلفة من الأرض[٤٤]؛ حيث يقول أوفيديوس عن ذلك فى الكتاب الخامس من "التحولات"، ما يلى:

(43)- cf., Ovid., Fasti, IV, 401-2.
(44)- cf., Apollod., Bibl., I, 32; cf., Hyginus, Fabulae 147 ;
cf., Hyginus, Astronomica 2. 14.

Hac Arethusa tenus. Geminos dea fertilis angues
curribus admovit frenisque coercuit ora
et medium caeli terraeque per aera vecta est
atque levem currum Tritonida misit in urbem
Triptolemo; partimque rudi data semina iussit
spargere humo, partim post tempora longa recultae.
Iam super Europen sublimis et Asida terram
vectus erat iuvenis; Scythicas advertitur oras.
(Ovid., Met. V, 642-9.)

"بعد أن انتهت أريثوسا من تلك (القصة [٤٥])، أوثقت إلهة الخصوبة حيتين بمركبتها، وطوقت خطميهما باللجـــام، وارتفعت فى الهـــواء بين السمـــاء والأرض، وأطلقت مركبتهـــا الرشيقة إلى مدينة تريتونيدا، ومنحتهـــا إلى تريبتوليمـــوس، وأمرتـــه أن يبذر البذور التى قدمتهـــا له، جزءا منها فى الأرض التى لم تحرث بعد، وجزءا آخر فى الأرض التى حرثت بعد وقت طويل (من الراحة)، فطاف الشـــاب (تريبتوليموس) عاليـــا فوق أوروبا وأرض آسيا ووصل إلى شواطئ سكيثيا."

[٤٥] –كانت الحورية أريثوسا(Arethusa) تقص على الربة ديميتر(كيريس) حكايتها وكيف أصبحت ينبوعا مقدسا (sacer fons)، لقد كانت ابنة إله قديم للبحر فى أركاديا يعرف باسم نيريوس (Nereus) وقد أعجبت بمياه جدول يتدفق رقراقا فخلعت ملابسها ونزلت إليه لتستحم، دون أن تدرك وجود إله النهر ألفيوس (Alpheus) الذى عشقها بمجرد أن رآها ولكنها كانت ترغب أن تظل عذراء عفيفة فهربت منه عارية ولكنه طاردها حتى كادت تقع فى يده فابتهلت إلى الربة أرتميس (ديانا) أن تساعدها على الهرب منه، فأخفتها فى سحابة ولكنها أخذت تتقطر عرقا نظرا لموصلة ألفيوس متابعتها وصارت تيار ماء سمحت له أرتميس بالهرب مرة ثانية لتسير كتيار ماء عذب أسفل سطح البحر حتى وصلت إلى جزيرة أورتيجيا (Ortygia) بصقلية لتنفجر كينبوع ماء عذب فرات. ولكن ألفيوس لاحقها كتيار ماء هو الآخر حتى اختلطت مياههما. (cf., Ovid., Met., V, 572ff.) وكانت الحورية أريثوسا قد أخبرت الربة كيريس أن ابنتها فى العالم السفلى تشارك هاديس، حاكم العالم السفلى (infernus tyranus) فراشه بوصفهـــا زوجته (matron) كما تشـــاركه عرشه بوصفهـــا ملكـــة (regina). (cf., Ovid., Met., V, 504-8.).

وعندما وصل تريبتوليموس إلى سكيثيا استقبله ملكها الغيور، لينكوس (Lyncus)، استقبالا حسنا فى ظاهر الأمر ولكنه كان يضمر له شرا، وذلك بعد أن عرف من تريبتوليموس كيفية وصوله إلى سكيثيا ومن أين جاء ولماذا جاء، فقد أخبره تريبتوليموس أنه جاء من أثينا عبر الهواء، حاملا هدايا الربة كيريس، إنها بذور القمح التى إن زرعها سوف تعود عليه بالخير الوفير؛ ولأن الملك كان يريد أن ينسب لنفسه فضل زراعة القمح، حاول قتل تريبتوليموس، فما أن استغرق تريبتوليموس فى النوم حتى هم الملك بطعنه فى قلبه[٤٦]، فإذا بديميتر (كيريس) تنقذ الشاب، حيث قامت بتحويل الملك إلى حيوان الوشق؛ كما قال أوفيديوس فى الكتاب الخامس من التحولات:

....., Conantem figere pectus
lynca Ceres fecit rursusque per aera iussit
Mopsopium iuvenem sacros agitare iugales."
(Ovid., Met. V, 659 - 61.)

"عندما حاول طعن قلبه، حولت كيريس {الملك} إلى وشق؛
ثم أمرت الشاب بأن يقود زوج التنانين المقدسة عائدا عبر
الهواء إلى موبسيوس (أثينا)".

ويبدو أن هذه الحادثة وما ترتب عليها من عودة تريبتوليموس من سكيثيا كانت سببًا فى حرمان سكيثيا من الزراعة، مما جعل أرضها خربة قفراء، تسكنها ربة الجوع تلك البقعة التى وصلت إليها حورية الجبل فى عربة ديميتر وهناك وجدت ربة الجوع موجودة فى حقل مليئ بالأحجار، وليس به سوى أعشاب قليلة وجافة تقتلعها ربة الجوع؛ وهو ما أوضحته الأبيات التالية:

Et dedit. Illa dato subvecta per aera curru
devenit in Scythiam rigidique cacumine montis
(Caucason appellant) serpentum colla levavit

(46)- cf., Ovid., Met. V, 649-659.

quaesitamque Famem lapidoso vidit in agro
unguibus et raras vellentem dentibus herbas.
(Ovid., Met. VIII, 799-803.)

"وانطلقت عبر الأجواء وهى تركب المركبة التي أعطيت لها،
وصلت إلى سكيثيا؛ ورفعت النير عن رقاب التنانين، فوق قمة جبل
صلب، (يطلقون عليه اسم القوقاز) ورأت ربة الجوع، التي كانت
تريدها، في حقل صخري، تقتلع بأظافرها وأسنانها أعشابا نحيلة."

أما بالنسبة إلى ربة الجوع فى المصادر المختلفة، فإن هيسيودوس فى "أنساب الآلهة" يجعلها ابنة لربة الشقاق إيريس (Ἔρις) التى كانت بدورها ابنة الليل (Νύξ)[٤٧]. وفى مقابلة واضحة بين وظيفة كل من الربتين (ربة الجوع وربة الخصب ديميتر)، ها هو هيسيودوس فى "الأعمال والأيام"، يحث أخيه بيرسيس (Perses) على أن يعمل ولا يركن إلى الراحـــة، حيث إن الجوع يلازم العاطل، (λιμὸς γάρ τοι πάμπαν ἀεργῷ σύμφορος ἀνδρί.) ، أما إن انخرط فى العمل فإن الجوع سيكون فى حالة خصام معه (σε λιμὸς ἐχθαίρῃ) وسوف تلازمه ديميتر وتنظر إليه بعين الاعتبار(φιλέῃ) ، حيث قال:

ἐργάζευ, Πέρση, δῖον γένος, ὄφρα σε λιμὸς
ἐχθαίρῃ, φιλέῃ δέ σ᾽ ἐυστέφανος Δημήτηρ
αἰδοίη, βιότου δὲ τεὴν πιμπλῇσι καλιήν·
λιμὸς γάρ τοι πάμπαν ἀεργῷ σύμφορος ἀνδρί.
(Hesiod., Works and Days, 299-302.)

" يا بيرسيس، عليك أن تعمل، حتى تبغضك ليموس (المجاعة)،

---

(47)- cf., Hesiod, Theog., 230 ff.

وطبقا للأبيات المشار إليها، تصبح ربة الجوع (Λιμός) كما يقول هيسيودوس أختا للـــ "المشقة" (Πόνος) و"النسيان" (Λήθη) و"الألم" (Ἄλγος) و"الصراع" (ὑσμίνη) و"الحرب" (Μάχη) و"القتل" (Φόνος) و"ذبح البشر" (Ἀνδροκτασία) و"الشجـــار" (Νεῖκος) و"القـــول الزائف" (Λόγος) و"الجدال" (Ἀμφιλλογία) و"الاستبداد" (Δυσνομία) و"الخراب" (ἄτη) و"اليمين الغموس" (Ὅρκος).

وتصبح ديميتر صديقةً لك، وسوف تملأ حظيرتك بمباهج الحياة؛
ليموس (المجاعة) بأكملها معك حيث إنها رفيقة الرجل الذى لا يعمل."

كما أن آينياس قد رأى الجوع ضمن الأهوال الكثيرة التى توجد أمام المدخل الضيق لأوركوس (Orcus) (العالم السفل)، أثناء قيام آينياس بزيارة ذلك العالم تلك الزيارة التى استعان فيه آينياس بالكاهنة سيبيلى لتكون مرشدته؛ وبعد أن قدمت سيبيلى الأضاحى وذبح آينياس القرابين، اندفعت الكاهنة داخل الكهف العميق المؤدى إلى العالم السفلى، وتبعها آينياس حتى وصلا إلى مدخل أوركوس وهناك عند مدخل أوركوس كان يوجد الحزن المفرط والندم المقلق؛ والأمراض الشاحبة والشيخوخة الحزينة والخوف والجوع الدافع للشرور (malesuada Fames) ، والحاجة وكثير من الأهوال: هناك الموت والشقاء ثم النوم شقيق الموت، الشهوات الأثيمة، والحرب الفتاكة وربات الغضب والفتنة القاتلة [٤٨].

ويكرر سينيكا وصفا لتلك الأهوال التى وجدت عند مدخل العالم السفلى، وذلك فى مسرحية "هيراكليس ثائرا"، يتماثل إلى حد كبير مع وصف فرجيليوس لها، وبالطبع كان الجوع من بينها، ويأتى ذلك الوصف على لسان ثيسيوس الذى كان يجيب عن تساؤل أمفيتريون عما رآه ثيسيوس فى العالم السفلى؛ أثناء رحلته إلى ذلك العالم مع صديقه بيريثوس ابن الإله بوسيدون فى محاولة منهما لاختطاف بيرسيفونى رغبة من بيريثوس فى الزواج منها وخلال رحلتهما تلك، التصق كل منهما بصخرة بعد أن جلسا عليها طلبا للراحة، ولم يستطع الحركة وبعد فترة قضاها ثيسيوس أسيرا للصخرة، قام هيراكليس بإنقاذه عندما نزل إلى العالم السفلى تنفيذا لإحدى مهامه الاثنى عشر؛ ويذكر ثيسيوس أنه شاهد أهولا كثيرة: فقد شاهد النوم، كما شاهد الجوع الكئيب يقبع هناك فاتحا فاهه

(48)- cf., Virg., Aen., VI, 268 ff

الهزيل، (Famesque maesta tabido rictu iacet) ، كما شاهد العار والرهبة والخوف والألم والحزن والمرض والحرب والشيخوخة [٤٩].

أما عن صفات ربة الجوع فيشير أوفيديوس فى الكتاب الثامن من "التحولات"، فى نفس إطار قصة إريزيخثون، إلى أنها كانت تتشبث بأظافرها فى الأعشاب القليلة الموجودة فى الحقل الصخري التى كانت توجد به، وكانت ذات هيئة شعثاء غبراء لا تسر الناظرين، حيث كان شعرها أشعث (Hurtus erat crinis) وعيناها غائرتان (cava lumina) والشحوب فى وجهها (pallor in ore) (٨٠٤) وشفتاها كئيبتان (labra incana) وحنجرتها أصابها الصدأ من الجرب (scabrae rubigine fauces) (٨٠٥)، وجلدها يعانى الجفاف (dura cutis)، وأحشاؤها ممكن أن ترى (spectari vescra possent) (٨٠٦) [٥٠]، كما أن الجفاف الذى كانت عليه جعلها تبدو وكأنها هيكل عظمي؛ كما صورتها الأبيات التالية:

ossa sub incurvis exstabant arida lumbis,
ventris erat pro ventre locus, pendere putares
pectus et a spinae tantummodo crate teneri.
Auxerat articulos macies, genuumque tumebat
orbis, et inmodico prodibant tubere tali.
(Ovid., Met., VIII, 807-811.)

"ونتأت عظامها المتيبسة تحت حقوتها بسبب الجفاف، كان هناك مكان البطن، بدلا من البطن. وتظن أن صدرها معلق ومثبتة على عظام القفص الصدرى. وبرزت عظام مفاصلها من فرط هزالها، وتورمت صابونة ركبتيها، وأصبحتا مثل نتوء ضخم."

لقد ظهرت وظيفة ربة الجوع على شكلها هى نفسها، كما أن شكلها ومحل إقامتها قد أثرا على الحورية، التى جاءت لتبلغها ما أرادته الربة كيريس، حيث إن

(49)- cf., Seneca, Hercules Furens, 686ff.
(50)- cf., Ovid., Met., VIII, 804-6.

الحورية شعرت بالجوع (visa tamen sensisse famem) بمجرد وصولها إلى حيث تقيم ربة الجوع؛ فأسرعت بالعودة إلى حيث جـاءت[٥١]. وتجاوزت ربة الجوع الزمن واختصرت المسـافة حيث وصلت مسرعة إلى منزل إريزيخثون تدفعهـا الرياح، طائعة لأمر كيريس، "ودخلت على الفور إلى حجـرة المدنس (إريزيخثون)"، (et protinus interact sacrilege thalamus)[٥٢]. وعند دخول ربة الجوع إلى غرفة إريزيخثون وجدته يغط فى نوم عميق فشرعت على الفور فى تنفيذ مهمتها التى تمثلت فى تمرير الجوع فى مجري الهواء والماء وفى مجرى الدم بجسد ذلك البائس المدنس للمقدسات، ثم عادت أدراجها من أرض الوفرة إلى مقرها فى الأرض الجدباء؛ وهذا ما صرحت به الأبيات التالية:

altoque sopore solutum
(noctis enim tempus) geminis amplectitur ulnis:
seque viro inspirat faucesque et pectus et ora
adflat et in vacuis spargit ieiunia venis.
Functaque mandato fecundum deserit orbem
inque domos inopes adsueta revertitur antra.
(Ovid., Met., VIII, 820-5.)

" ووجدته يغط فى نوم عميق (حيث كان الوقت ليلا) فطوقته بذراعيها:
فذفرت نفسها فى (أعماق) الرجل، ونفثت في حنجرته وصدره وفمه،
ومررت الجوع فى عروقه الخاوية.
وبعد أن فرغت من مهمتها، غادرت عالم الخصوبة،
وعادت إلى مآويها الجدباء، إلى مغارتها التى اعتادت عليها."

وتركت ربة الجوع إريزيخثون نائما يعيش أضغاث أحلام بأنه يأكل أشهى أنواع الطعام، وأخذ يلوك الطعام فى فمه ويجتره بفكيه، ولكنه فى الحقيقة لم يكن طعامًا بل

(51)- Ovid., Met. VIII, 812-6.
(52)- cf. Ovid., Met. VIII, 817-20.

كان محض أوهام [٥٣]. وها هى العقوبة التى نزلت به تؤتى أكلها، فعندما استيقظ ذلك الشقى، ما لبث أن شعر بجوع شديد، فجاؤوه بطعام كثير، فنادى بالمزيد، وكأنه المحيط يبتلع مياه الأنهار فى جوفه ولا يشكو ضيقًا، وهكذا كان حال إريزيخثون لا يشبع من طعام وإن كثر، ولا يرتوي من أى ماء وإن فاض، كأنه نار تأكل الأخضر واليابس دون انتظار وتنادى هل من مزيد، وقد وصف الشاعر حالة إريزيخثون تلك وصفا بديعًا فى تشبيهات بلاغية، تصورها الأبيات التالية:

Ut vero est expulsa quies, furit ardor edendi
perque avidas fauces incensaque viscera regnat.
Nec mora, quod pontus, quod terra, quod educat aer,
poscit et adpositis queritur ieiunia mensis
inque epulis epulas quaerit; quodque urbibus esse
quodque satis poterat populo, non sufficit uni,
plusque cupit, quo plura suam demittit in alvum.
Utque fretum recipit de tota flumina terra
nec satiatur aquis peregrinosque ebibit amnes,
utque rapax ignis non umquam alimenta recusat
innumerasque faces cremat et, quo copia maior
est data, plura petit turbaque voracior ipsa est:
(Ovid., Met., VIII, 831-42.)

"ولكن عندما استيقظ ورحلت الراحة، تملكته رغبة شديدة فى تناول الطعام عبر حلقه المفترس وأحشائه الحارقة. وبدون تأخير، نادى بكل ما ينتجه البحر، وما تجود به الأرض، وما تأتي به الريح:

ورغم وضع المائدة أمامه (دائمًا) كان يشكو الجوع، ويصيح طالبا المزيد من الطعام فى الأطباق الكثيرة؛ وما كان يكفى مُدنا وما كان يكفى أُممًا أصبح لا يكفى واحدًا، وكان كلما ابتلع فى بطنه لا يزال يطلب المزيد.

(53)- cf. Ovid., Met. VIII, 826-30.

وكالبحر يستقبل أنهار الأرض جميعا[٥٤] ، ولا يشبع من المياه، فيشرب أنهارا ضحلة المياه، أو كالنار المستعرة لا ترفض وقودها أبدا، وتحرق حزم وقود لا حصر لها، وما يقدم لها من وفرة كبيرة. وتطلب المزيد، وتزداد استعارًا كلما التهمت من وقود:"

ولا زال إريزيخثون يأكل وكلما أكل طلبت معدته المزيد، فهى تشعر دائما بعدم الامتلاء، وأكل حتى نفدت ثروة أبائه وأجداده، وبعد نفاد كل شئ لم يجد أمامه سوى ابنته ميسترا التى امتلكت قدرات فائقة على التحول، فقام ببيعها (hanc quoque vendit inops.) ، ليأكل بما أخذه من مقابل لذلك، ولكنها لم تكن لتقبل أن تعيش أمة، فابتهلت إلى الإله نبتونوس أن ينقذها من نير العبودية (eripe me domino)، فاستجاب لها ربها، وأبدل هيئتها بهيئة رجل وألبسه ملابس صياد، وقف على شاطئ البحر يصطاد وعندما وصل إليها سيدها سألها عن فتاته، تلك الفتاة التى رآها منذ قليل تقف على شاطئ البحر، (nam stantem in litore vidi) ، ولكنها أجابته، وهى على هيئة الصياد، بأن أحدا لم يوجد على الشاطئ رجلا كان أو امرأة منذ أن جاء (الصياد) ليباشر مهنته وحتى اللحظة الحالية، وهنا انصرف الرجل مخدوعا؛ "وفى تلك الأثناء استعادت (الفتاة) شكلها مرة أخرى" (illi sua reddita forma est)[٥٥] .

وجدير بالذكر أن الشاعر قد وصف ميسترا ابنة إريزيخثون فى البيت ٨٥٠، بأنها "كانت تستحق أبا غيره" (non illo digna parente) ، وهذا الوصف يعد إشارة إلى أن الأب الآثم مزدرى الآلهة لا يستحق أبناءً، أو بالأحرى إن هؤلاء الأبناء

---

[٥٤] – إن التشبيه بالبحر هنا (فى البيت ٧٣٨) عند أوفيديوس، يذكرنا بالبيت ٨٩ عند كاليماخوس الذي قال فيه كاليماخوس أن الطعام الذى ينزل إى بطن إريزيخثون لا يُسْمِن ولا يُغْنِى من جُوعٍ، كما لو كان ينزل إلى أعماق البحر.

[55] - cf., Ovid., Met., VIII, 851- 873

يستحقون آباءً أتقياء ورعين، عن عبادة آلهتهم لا يستكبرون، وللقرابين هم يقدمون وللبخور على مذابحها حارقون. إن هذه العبارة تحمل نفس المعنى الذى ورد عند فرجيليوس فى الإنيادة، وهو يتحدث عن لاوسوس (Lausus) ابن ميزنتيوس؛ وكان لاوسوس شابا وسيما ولم يكن هناك من هو أكثر منه وسامة، سوى تورنوس اللاورنتي، كما كان لاوسوس ماهرا فى ترويض الخيول، ويذكر فرجيليوس أن لاوسوس كان يستحق أبا أفضل من ميزنتيوس محتقر الآلهة (contemptor divom Mezentius)[٥٦]، كما ورد فى الكتاب السابع من الإنيادة:

……., dignus, patriis qui laetior esset
imperiis et cui pater haud Mezentius esset.
(Verg., Aen., VII, 653-54.)

"لقد كان جديرًا بأن يكون أكثر سعادة بمملكة والده،
وبأن يكون له والد آخر غير ميزنتيوس.[٥٧]"

وفى هذا أيضا تذكير بتقوى وبر كل من فليمون وباوكيس، الذين سبقت الإشارة إلى استضافتهما للإلهين جوبيتر وميركوريوس فى كوخهما المتواضع، وكافأتهما الآلهة بأن تحولا فى نهاية حياتهما إلى شجرتين.

ويأتى ختام قصة ميسترا ابنة إريزخثون عند أوفيديوس فى الأبيات الأربعة (٨٧٤ – ٧٧) من الكتاب الثامن من التحولات، والتي تصور قيام الأب النهم ببيع ابنته أكثر من مرة لحاجته الشديدة، ونظرا لكونها كانت تتمتع بقدرة كبيرة على التحول إلى هيئة كائنات أخرى؛ فكانت تتمكن من الهرب من كل سيد بيعت إليه،

---

(56)- cf., Verg., Aen., VII, 647-50.

(٥٧) – ترجمة: عبدالمعطى شعراوى؛ انظر: فرجيليوس، الإنيادة، الجزء الثانى، ترجمة: عبدالمعطى شعراوى؛ محمد حمدى ابراهيم؛ أحمد فؤاد السمان، مراجعة: عبدالمعطى شعراوى، المركز القومى للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة (العدد ١٧٤٤)، القاهرة ٢٠١١، ص ٣٥.

وتواصل تقديم كل ما أمكنها أن تحصل عليه من طعام لأبيها الذى لا يشبع ولن يشبع؛ وهو ما عبر عنه الشاعر فى الأبيات التالية:

Ast ubi habere suam transformia corpora sensit
saepe pater dominis Triopeida tradit, at illa
nunc equa, nunc ales, modo bos, modo ceruus abibat
praebebatque auido non iusta alimenta parenti.
(Ovid., Met. VIII, 874–7.)

"لكن عندما رأى الأب ابنته لها جسد لديه قدرة على التحول،
فإنه كثيرا ما كان يسلم حفيدة تريوباس إلى سادة (آخرين)،
لكنها كانت تهرب منهم، متخذة هيئة فرس مرة، ومرة على
هيئة طائر وأحيانا على هيئة بقرة وأحيانا أخرى على هيئة
غزالة، وواصلت تقديم الطعام غير الفعال لأبيها النهم."

هكذا جاء ختام قصة ميسترا، إبنة إريزيخثون، عند أوفيديوس مُذكِرا إيانا بهيسيودوس، الذى اختتم قصة ميسترا بجعل الفتاة تقوم بالعودة من قوص (Cos) إلى وطنها، حيث أنجبت (Eurypylus) من الإله بوسيدون، لتتولى بعد عودتها أمر إطعام أبيها الجائع دائما؛ حيث يقول:

Μήστρη δε προλιποῦσα κόων ποτὶ πατρίδα γαῖαν
νηι θοῇι ἐπέρησ᾽ ἱερέων ποτὶ γουνὸν ᾽Αθηνέων
..... ἐπεὶ τέκε παῖδια Ποσειδάωνι ἄνακτι.
..... αἰνόμορον πατέρα ὃν πορσαίνεσκεν.
(Hes., fr. 43a.66–9.)

"وانتقلت ميسترا، التي تركت كوس خلفها، إلى موطنها
على متن سفينة سريعة إلى تل أثينا المقدسة حيث ولدت،
حيث أنجبت طفلاً من سيدها بوسيدون.
كانت تقدم الطعام لأبيها المحكوم عليه {بالجوع}."

ولكن ميسترا عند أوفيديوس لم تستطع على ما يبدو مواصلة إطعام أبيها، حيث صور الشاعر حال إريزيخثون فى النهاية بعد أن انقطع عنه المدد الخارجى بوحش ينهش لحمه هو نفسه، بعد أن فقد كل السبل الممكنة للحصول على الطعام، فإذا به يقوم بقضم كل ما استطاع أن يستقطعه من جسده، فى تصوير على ما يبدو لنفاد حيلة هذا الرجل فى الحصول على غذاء، مما أدى إلى احتراق داخلى نتج عنه تداعى الجسد الذى بدون شك أدى فى النهاية إلى موته، رغم أن الشاعر لم يذكر ذلك صراحة وإنما قال:

Vis tamen illa mali postquam consumpserat omnem
materiam dederatque gravi nova pabula morbo,
ipse suos artus lacero divellere morsu
coepit et infelix minuendo corpus alebat.
(Ovid., Met. VIII, 878–81.)

"ومع ذلك، بعد أن استهلك عنف شقائه كل الطعـــام الذي كان
بإمكانها تقديمه، واستنفذ كل ما هو جديد بسبب مرضه القاسي،
بدأ في تمزيق أطرافه بقضمات قاطعة (باترة)،
وأطعم جسده الذابل عن طريق تقليله (انقاصه)."

وبدون شك كانت قصة ميسترا حاضرة بالتأكيد في العصر السكندري منذ ظهورها المبكر عند هيسيودوس فى عمله "كتالوج النساء" (الشذرة ٤٣)– كما سبقت الإشارة إلى ذلك–. وفيما يتعلق بالتهام البائس لجسده، فمن الصعب عدم تصديق أن التآكل الذاتي كان أيضًا جزءًا تقليديًا من القصة، على الرغم من أن أول توثيق لها موجود عند أوفيديوس، لأنه جزء من نمط قياسي في مثل هذه القصص [٥٨]. فقد أور هيرودوتوس قصة تحمل دلالة مماثلة، ألا وهى قصة كليومينيز (Cleomenes) الذي قيل إنه بعد قيامه بقتل الفارين اللاجئين بالمعبد بعد إخراجهم منه، وقيامه بإضرام النار فيهم فى البستان المقدس لديميتر وبيرسيفوني في إليوسيس، أصيب بالجنون وقام

(58)- Bulloch A. W., op. cit., p. 115; no 24.

بتشويه نفسه عبر إحداث جروح غائرة فى أنحاء متفرقة من جسده؛ وفى هذا يقول هيرودوتوس:

Κλεομένης δὲ παραλαβὼν τὸν σίδηρον ἄρχετο ἐκ τῶν κνημέων ἑωυτὸν λωβώμενος· ἐπιτάμνων γὰρ κατὰ μῆκος τὰς σάρκας προέβαινε ἐκ τῶν κνημέων ἐς τοὺς μηρούς,
(Herod., VI, 75.)

"تناول كليومينيز السلاح وهَـمَّ بتقطيع نفسه وابتـدأ من الساقين، وأخذ يجرح لحمه طوليا، وواصل التقطيع من الساقين إلى الفخذين ومن الفخذين إلى مفصلى الفخذين وإلى الجزئين اللينين، ومنهما وصل إلى المعدة، وقطعها إلى شرائح ومات بهذه الطريقة. "

ويقول عن سبب إصابته بالجنون الذى دفعه لتمزيق جسده حتى الموت:

Ἀργεῖοι, ὅτι ἐξ ἱροῦ αὐτῶν τοῦ Ἄργου Ἀργείων τοὺς καταφυγόντας ἐκ τῆς μάχης καταγινέων κατέκοπτε καὶ αὐτὸ τὸ ἄλσος ἐν ἀλογίῃ ἔχων ἐνέπρησε.
(Herod., VI, 75.)

"يقول الأرجيون: " إنه أخرجهم من معبد أرجوس بعد هروب الأرجيين إليه كلاجئين وقتلهم وأحرقهم ولم يقدم توقيرًا لتلك الأيكة المقدسة""

وبالنظر إلى القصة عند كل من كاليماخوس وأوفيديوس يمكننا القول:

إن إنشودة كاليماخوس السادسة "إلى ديميتر" تعتبر ذات أهمية كبيرة لدى دارسي أوفيديوس. والسبب في ذلك هو أننا نتمتع بإحدى الفرص القليلة جدًا لوضع حادثة من أحداث التحولات إلى جانب ما يبدو أنه مصدرها الرئيس؛ لأن وصف أوفيديوس لكيفية عقاب ديميتر لإريزيخثون لانتهاكه حرمة بستانها المقدس عن طريق إصابته بجوع لا يعرف الشبع، قريب جدًا من رواية كاليماخوس ويتضمن عددا من أصدائها اللفظية تؤكد معرفة أوفيديوس بإنشودة كاليماخوس السادسة "إلى ديميتر" معرفة جيدة.

ولكن، ربما كانت هناك معالجات أخرى لقصة إريزيخثون استفاد منها أوفيديوس أيضًا إلى حد أكبر أو أقل ولكنها فقدت. هناك نقطة أخرى جديرة بأن تأخذ في الاعتبار، وهى أنه يبدو أننا مع أوفيديوس نتعامل مع أسطورتين وليس أسطورة واحدة. الأولى هى قصة إريزيخثون وتدنيسه للمقدسات والعقاب الذى استحقه، والثانية هى قصة فتاة قادرة على التحول ذاتيا. قصة تحول ميسترا إبنة إريزيخثون إلى هيئات أخرى، وهى القصة التى لم يستخدمها كاليماخوس، وقد تكون هاتان القصتان مستقلتان في الأصل عن بعضهما البعض، لكننا نجدهما متداخلتين معا عند هيسيودوس فى عمله "كتالوج النساء"(٥٩).

كما أنه من الواضح أن أوفيديوس قد استفاد أيضا من أبوللونيوس الروديسى الذى أورد قصة مماثلة – سبقت الإشارة إليها– حيث اتفق الشاعران فى الإطار العام للقصة من حيث تحريم قطع شجرة البلوط، والعقاب الإلهى لمن يفعل ذلك؛ كما أن كلا من أبوللونيوس وأوفيديوس قد قدم مساحة أكبر للحورية قرينة الشجرة، فهى عند كليهما من تتشفع للشجرة عند المعتدى وهى من تعلن حلول اللعنة أو العقاب بالمعتدى نتيجة اصراره على قطع الشجرة، كما أن كلا الشاعرين يصرح بقطع الشجرة على يد المعتدى، وهو الأمر الذى لم يتم التصريح به عند كاليماخوس، ويبدو من ظاهر القول أنها لم تقطع. ولم يذكر إريزيخثون سبب قطعه للشجرة عند أوفيديوس ولكنه برر إقدامه على قطع الشجرة عند كاليماخوس بقوله: "هذه الأشجار سوف تجعل منزلى محصنا ضد المياه"(ταῦτα δ’ ἐμὸν θησεῖ στεγανὸν δόμον,) (٦٠).

(59) - Alan H. F. Griffin, “Erysichthon - Ovid's Giant?”, *Greece & Rome*, Vol. 33, No. 1 (Apr., 1986), p. 55.
(60) - cf., Callim., Hymn VI (to Demeter), 54.

بدأت قصة إريزيخثون عند كاليماخوس بالحديث عن البستان المقدس وعراقة وتنوع أشجاره وكثافتها العالية (ἄλσος ..... ἀμφιλαφές) (أبيات ٢٤ – ٢٩)، وجاء ذكر إريزيخثون ضمن مقارنة سريعة بين فضل ديميتر ونقمتها؛ فقد أنعمت على البشرية بفضل زراعة نبات القمح، وكانت أول من حصده ودرسه وجعلت تريبتوليمس ينشر زراعته فى الأرض (أبيات ١٩ – ٢٣)، وكيف أنها انتقمت من أحد الأشخاص (τις . . . . ἀλέηται) { إريزيخثون ابن تريوباس بعد أن تجرأ عليها وانتهك حرمة مقدساتها} (البيت ٢٢)؛ وتبلغ القصة ذروتها بجلوس إريزيخثون على قارعة الطريق عند مفترق الطرق العامة (ἐνὶ τριόδοισι καθῆστο) يتسول خبزا من المارة ويلتقط ما يمكن أن يأكله من مخلفات المآدب (البيتان ١١٤ – ١١٥)؛ حيث يتعرض للفضيحة التى يفوق أثرها السيء أثر معصيته من الناحية الاجتماعية(٦١).

أما عند أوفيديوس فإن قصة إريزيخثون، وعلى الرغم من أنها تبدأ بالإشارة إلى كون إريزيخثون مزدريا للآلهة وإلى قيامه بانتهاك حرمة مقدساتها، إلا أنها تشير إلى عراقة البستان بوصفه بـ "الأيكة المقدسة العريقة" (lucos .... vetustos)(٦٢)، وتأتى القصة إلى ذروتها عند حدوث الإحتراق

(61)- Bulloch A. W., op. cit., p. 113.

☼ إن بنية هذه القصة وشكلها قريبان جدًا من تلك الموجودة في قصة تحذيرية تعود إلي وقت مبكر كثيرًا عن قصة إريزيخثون، ووردت في "الأنشودة الهوميرية إلى ديونيسوس" (Homeric Hymn to Dionysus)، ويحكى فيها عن ذلك العقاب الذى نزل بالقراصنة الذين كانوا يحاولون اختطاف شاب وسيم اتضح فيما بعد أنه الإله ديونيسوس، الذى ملأ سفينة القراصنة بالكرمة الكثيفة وتحول الإله إلى أسد مرعب كما خلق على السفينة دبا شرسا، مما دفع البحارة إلى إلقاء أنفسهم خوفا فى البحر وتحولوا إلى دلافين، وكان ديونيسوس رحيما بربان السفينة الذى حذر رفاقه من عاقبة أمرهم عندما كانوا يحاولون ربط الإله وتقييده بسارى السفينة منتبها إلى أن هذا الشاب الوسيم إله من الآلهة، فقد أبقاه ديونيسوس حيا ومنحه السعادة الدائمة . (cf., Homeric Hymn to Dionysus)

(62) - cf., Ovid., Met., VIII, 742 – 45.

الذاتى المؤدى إلى الموت والذي عبر عنه الشاعر بقوله عن إريزيخثون أنه قام بتغذية جسده عبر إلتهام أجزاء منه، "وأطعم جسده الواهن عبر انتقاصه" (.et infelix minuendo corpus alebat)، والراجح أنه ترك جسده يتداعى حتى انتهت حيوته تماما ومات [٦٣].

إن كاليماخوس يركز فى أنشودته "إلى ديميتر"، نوعا ما، على وصف بستان الربة ديميتر وإلى كون هذا البستان يحتوى على أنواع كثيرة من الأشجار، وحب الربة الشديد لهذا البستان، الأبيات (٢٥-٣٠)، ثم يصف الشجرة المقصودة بأنها شجرة عملاقة تطاول السماء (البيت ٣٧)، ويذكر تريض الحوريات عندها وقت الظهيرة (البيت ٣٨)، أما أوفيديوس فقد صب تركيزه على الشجرة نفسها، فيصفها فى البيتين (٧٤٥-٤٦)، بأنها شجرة ضخمة ذات فروع عديدة لدرجة أنك تحسبها أيكة مستقلة، وكانت الحوريات يتريضن تحت ظلالها (البيت ٧٤٩)؛ وفى الأبيات (٧٥١-٥٣)، يقدر أوفيديوس حجم الشجرة بحجم خمسة عشر شجرة أخرى، ومع ذلك فهى عالية جدا بحيث تبدو الأشجار الأخرى كأنها حشائش أسفل أشجار الغابة، ويشير فى (البيت ٧٥٨) إلى حب الربة للشجرة.

وكان إصدار الشجرة لأنينها متألمة مما حاق بها من ضربات- عند كاليماخوس- سببا فى ظهور الربة ديميتر نفسها على هيئة كاهنتها نيكيبى، هكذا ظهرت للمعتدى إريزيخثون ورفاقه، وأخذت تحذرهم من مغبة ما يفعلون، وتحدثت بلين (φᾶ δὲ παραψύχοισα) إلى "الرجل الشرير والمتغطرس" (κακὸν καὶ ἀναιδέα φῶτα)، محاولة أن تدفعه إلى الامتناع عما أقدم عليه ورد أتباعه عن مهاجمة بستان الربة المقدس، وعن قطع الأشجار المقدسة، مناشدة إياه: "توقف، يا بنى، يا من تقطع أشجارا مقدسة عند

(63) - cf., Ovid., Met. VIII, 881.

الآلهـــة" (τέκνον, ὅτις τὰ θεοῖσιν ἀνειμένα δένδρεα κόπτεις,)[٦٤]؛ أمـــــا عند أوفيديوس فلم تظهر الربة، لا على هيئتها الأصلية ولا على صورة كاهنتها، وإنما جاء صوت الحورية قرينة الشجرة من داخلها، معلنة أن قطع الشجرة وبالتالى موتها، فيه موت (moriens) لها هى نفسها (الحورية)، وليس هذا فحسب، بل سيكون ذلك وبالا على من تسبب في موتها [٦٥] ؛ ومن الملاحظ أن أوفيديوس يزيل الفوارق الطبيعية بين الشجرة والحورية حيث يجعل الشجرة تنزف دمًا غزيرا عندما تجرح بواسطة ضربات فأس (بلطة) إريزيخثون، وكأن الدم (sanguis) ينهمر من رقبة ثور (taurus) ضخم ذُبِحَ عند النُصب، فالحورية والشجرة رفيقتان فى كيان واحد.

وعند كاليماخوس وحده، تمكن مرافقى إريزيخثون أن يفلتوا من العقوبة بتركهم محاولة قطع الشجرة، وقد قدم سببا لذلك بأنهم ما تبعوه إلا نتيجة لسلطانه عليهم، حيث قال:

οἱ μὲν ἄρ᾽ ἡμιθνῆτες, ἐπεὶ τὰν πότνιαν εἶδον,
ἐξαπίνας ἀπόρουσαν ἐνὶ δρυσὶ χαλκὸν ἀφέντες·
ἁ δ᾽ ἄλλως μὲν ἔασεν, ἀναγκαίᾳ γὰρ ἔποντο
δεσποτικὰν ὑπὸ χεῖρα,
(Callim., Hymn VI (to Demeter), 59-62.)

" أما عن رفاقه فإنهم عندما رأوا إلهتهم، أصبحوا أشباه موتى،
وهرعوا فجأة تاركين فئوسهـــم البرونزية بين الأشجـــار.
لقد تَركَت هؤلاء وشأنهـــم، حيث إنهـــم قد تبعوا سيدهـــم
تحت قهـــر سلطـــانه."

أمـــــا عند أوفيديوس فقد تلكأ أولئك الرفاق فى تنفيذ ما أمرهم به إريزيخثون فقام إريزيخثون بأخذ الفأس من يد أحدهم وتباهى بأنه قاطعها حتى وإن كانت هى الربة

(64) - cf., Callim., Hymn VI (to Demeter), 39 – 46.
(65) - Bulloch A. W., op. cit., p. 102; cf., Ovid., Met. VIII, 773- 76

نفسها وواصل قطع الشجرة بنفسه، واستـــاء الجمع، وهَـــمَّ أحدهم وحاول منع إريزيخثون عن مواصلة قطع الشجـــرة، فقـــام إريزيخثون بقتله بسبب تقواه ("piae cape praemia!")[٦٦]. ويفسر ما ورد عند أوفيديوس عن قيام إريزيخثون بقطع الشجرة بنفسه السبب فى عفو الربة عن رفاقه عند كاليماخوس، حيث إنهم على الرغم من أنهم قد شاركوا فى البداية إلا أنهم لم يُتِموا ما هموا بعمله، فقد تراجعوا بعد أن ظهرت الربة لهم، وتركوا الأمر لمن لم يستطع أن يقدر الآلهة حق قدرها (إريزيخثون) الذى تمادى فى غيه واعتدى على المقدسات[٦٧].

يركز كاليماخوس بشكل كبير على الأثر الاجتماعى لجريمة إريزيخثون، حيث تنال العقوبة من والديه الذان يحاولان الحفاظ على المظهر الاجتماعى، على الرغم من العار الذى لحق بابنهم، من خلال التهرب كل مرة من تلبية دعوة المحتفلين لإريزيخثون بالمشاركة فى احتفالاتهم. إن الجانب الاجتماعى عند كاليماخوس استغرق ما يزيد عن أربعين بيتا (٧٣ – ١١٧)؛ أما رواية أوفيديوس فتفتقر إلى البيئة الأسرية، حيث لا يعطي أوفيديوس أى دور لوالد ووالدة إريزيخثون ليلعبانه فى القصة وذلك على العكس من كاليماخوس[٦٨]. وفى إطار البيئة الأسرية عند كاليماخوس، نجده يذكر حزن والدة إريزيخثون وألم أختيه ومرضعته وخادماته العشر وبكائهن المرير بسبب الحالة التى صار إليها الفتى؛ فقد قال الشاعر:

κλαῖε μὲν ἁ μάτηρ, βαρὺ δ᾽ ἔστενον αἱ δύ᾽ ἀδελφαί
χὠ μαστὸς τὸν ἔπωνε καὶ αἱ δέκα πολλάκι δῶλαι.
(Callim., Hymn VI. To Demeter 59-62.)

"وانتحبت أمـــه، وتألمت أختـــاه ألمـــا شديدا،

وبكت مرضعته وخادماته العشر بكاء مرارا."

(66) - cf., Ovid., Met. VIII, 756-71.
(67) - Bulloch A. W., op. cit., p. 101.
(68) - Alan H. F. Griffin, op. cit., pp. 57-58.

فضلا عن أبيه تريوباس الذى توسل بدوره إلى أبيه بوسيدون أن يُنْعِمَ على ابنه بالشفاء أو يأخذه عنده ويتولى أمر اطعامه بنفسه؛ فلقد أتى النهم الذى أصاب الفتى على كل شيء عند تريوباس، وقد أصاب العجز والبؤس واليأس تريوباس لدرجة أنه تمنى لو أن ابنه قد مات؛ وأَنهِك الطهاة لدرجة أنهم أصبحوا يرفضون اعداد طعام له.(ἤδη γὰρ ἀπαρνήσαντο μάγειροι) [٦٩]. ويضيف تريوباس ذنبا آخر إلى ابنه، وإن كان لم يقدم عليه بنفسه وإنما كان سببا مباشرا فى حدوثه؛ ألا وهو ذبح البقرة التى كانت نذرا على ما يبدو للربة هيستيا ربة المنزل.

καὶ τὰν βῶν ἔφαγεν, τὰν Ἑστίαι ἔτρεφε μάτηρ,
(Callim., Hymn VI. (to Demeter), 108.)

"والتهم البقرة التى كانت أمه تسمنها من أجل {عيد} الربة هيستيا"

تأتى نهاية إريزيخثون واضحة عند أوفيديوس نظرا لأهمية ذلك بالنسبة إلى الرواية التى لم تكن تمثل ابتهالا دينيا كما كانت أنشودة كاليماخوس، الذى تجنب ذلك واستعاض عنه بالتعريض بإريزيخثون وعائلته عبر تصويره يقف متسولا عند مفترق الطرق[٧٠]. وتبدو قصة إريزيخثون عند كاليماخوس مدمجة بدقة فى أنشودته "إلى ديميتر"، حيث تبدأ القصيدة من خلال تحية الربة ديميتر بينما يقترب موكبها. وفي البيت (٢٢) يبدأ إقحام إريزيخثون ويستمر حتى البيت (١١٧) البيت الذى يعبر فيه الشاعر للربة ديميتر عن كراهيته لأن يكون بين جيرانه من لا يوقر الربة ومن ثم يغضبها، فهو شخص سيئ، لا حاجة لشخص تقى بماشركته الجوار. أما آخر واحد وعشرين بيتا فتمثل جزءا ختاميا للإنشودة الدينية، يتوافق مع الأبيات الإحدى والعشرين الأولى من القصيدة التى تمثل بداية الأنشودة. البداية والخاتمة هما عبارة عن سرديات طقوسية لأفعال وخصائص ديميتر، الربة الجليلة التى تعد الشخصية

(69) - cf., Callim., Hymn VI (to Demeter), 101-05.
(70) - Bulloch A. W., op. cit., p. 115; no 24.

المهيمنة في حادثة إريزيخثون الذي شكل تركه جالسا عند مفترق الطرق، متسولًا لكسرات الخبز ومفتشا عن طعام فى القمامة (الأبيات ١١٤-٥)، نهاية مفاجئة لقصته، تشير هذه النهاية إلى وضعه الثانوى فى الأنشودة، وإلى العودة إلى التركيز الكامل على شخصية ديميتر [٧١].

إن رواية أوفيديوس هى الأكثر تدقيقًا، ليس فقط لوجود جميع الوظائف فيها فيما عدا الصياح طلبا للنجدة، ولكنها وزعت على عدد كبير من الوسطاء الإضافيين؛ فها هى حورية الشجرة تتشفع لدى المعتدى وتخبره أن قطع الشجرة فيه موتها هى نفسها وأن قطع الشجرة سيكون وبالا عليه حيث ستحل به لعنة ذلك الإثم. كما أن أوفيديوس يجعل أحد رفاق إريزيخثون يقوم بالتدخل لمنع المعتدى من إتمام ما شرع فيه. وها هو أوفيديوس يسند دور إخبار الربة بما يحدث إلى حوريات الشجر الأخريات أخوات الحورية قرينة شجرة البلوط. وتقوم ديميتر بالتفاعل مع الأمر وتعمل على تحقيق اللعنة عبر إرسالها حورية الجبل لتستدعى ربة الجوع كى تنفث من خصائصها فى روح وبدن إريزيخثون. إن هؤلاء الوسطاء الإضافيين يقللون من دور الربة ديميتر ويبقى دورها فقط هو إنجاز اللعنة (تحققها)، ولكن لا تتم أوتنجز العقاب (اللعنة) بشخصها كما هو الأمر عند كاليماخوس وإنما من خلال وسطاء. إن إبعاد ديميتر عند أوفيديوس يسهل أمر تدمير الشجرة والبستان.

ومن هذه المقارنة البنيوية، بإمكاننا أن نرى إن قصة إريزيخثيون عند أوفيديوس بينما هى إعادة قص للقصة الواردة عند كاليماخوس بأمانة، فإنها فى البناء وفى العقدة (الحبكة الروائية) أكثر تشابهاً مع نقل أبوللونيوس للقصة فى المقطوعة الغنائية

(71) - Alan H. F. Griffin, op. cit.,, p. 56

الخاصة بالعراف فينيوس. وفى ضوء هذا من الواجب النظر إلى مساحة التأثير السكندري عند أوفيديوس[٧٢].

خلاصة القول:

– تُجمع المصادر المختلفة على أن من يقوم بقطع الشجرة المقدسة يستحق عقابا شديدا من الآلهة، وهو ما حدث بالنسبة إلى إريزيخثون عند كل من هيسيودوس وكاليماخوس وأوفيديوس. حيث تجمع المصادر على أن قطع الأشجار عمل خطير، تم شجبه من المجتمع[٧٣] والآلهة على حد سواء.

– تكاد المصادر تجمع على اتحاد الشجرة مع قرينتها حورية الشجرة، ويزيل أوفيديوس الفوارق الطبيعية بينهما.

– تؤكد قصة قطع الشجرة المقدسة الواردة عند أبوللونيوس الروديسى على توارث اللعنة، بينما تتمدد آثار عقوبة الباغى عند كاليماخوس وأوفيديوس لتصل إلى والده حيث كانت سببا فى تبديد كل ممتلكاته.

– إن غضب ديميتر مدمر لمن يثير غضبها، فقد هلك من اعتدى على مقدساتها (عند كاليماخوس وأوفيديوس)، مثلما كاد البشر يهلكون عندما احتجبت ديميتر فى الكهف حزنا على فراق ابنتها بيرسيفونى وفى المرتين كان الجوع هو العقاب الشديد.

– إن إريزيخثون عند كاليماخوس لا يزال شابا يافعا يعيش فى منزل والديه، فهو غير متزوج وذلك على العكس منه عند هيسيودوس وأوفيديوس، حيث إنه عندهما رجل كبير له ابنة صالحة للزواج.

– تجمع الروايات المختلفة للقصة على أن عاقبة التكبر وبشكل خاص على الآلهة هى الخسران المبين.

---

(72) - Jackie Murray, op. cit., p. 210.

[٧٣] - رفاق إريزيخثون ووالده عند كاليماخوس ورفاقه وحدهم عند أوفيديوس.

قائمة المصادر والمراجع

١- قائمة المصادر:

- Apollodorus , The Library , L.C.L., London , 1939 ; 1954 .
- Apollonius Rhodius. Argonautica. L.C.L., 1. Cambridge, 2009.
- Callimachus, Lycophron, Aratus. Hymns and Epigrams. Lycophron: Alexandra. Aratus: Phaenomena. L.C.L., Cambridge, 1921.
- Herodotus , The Histories, L.C.L., Vol. I ,London, 1990.
- Hesiodus, Homeric Hymn and Homerica, L. C.L., London, 1982.
- Hesiod, Theogony, Works and Days and Testimonia, L. C.L. (57)., Cambridge, 2018.
- Hesiod, The Shield, Catalogue of Women and Other Fragments., L. C.L. (503). Cambridge, 2007.
- Homerus, Odyssey, L.C.L., London, 1984.
- Hyginus , Hygini, Fablae , Mauriclus Schmidt, Harvard, 1872.
- ---------- , De Astronomia , Edidit : Ghislaine Viré Stutgardiae et Lipsiae, In Aedibus B. G. Teubneri MCMXCII, Teubner , Stuttgart 1992 .
- Ovidius , Metamorphoses , L.C.L., London 1984 .
- ----------, Fasti, L.C.L., London 1996 .
- Pausanias , Description of Greece, L.C.L., London 1977 & 1992.
- Seneca, Tragedies, Volume I: Hercules;Trojan Women; Phoenician Women; Medea and Phaedra, L.C.L. (62), Cambridge, 2002.
- --------, Sophocles, Antigone, The Women of Trachis, Philoctetes and Oedipus at Colonus. L.C.L. (21), Cambridge, 1994.
- Thucydides. History of the Peloponnesian War, Vol. I: Books 1-2. L.C.L. (108). Cambridge, 1919.
- Virigilius , Ecologues , Georgics, Aeneid I – VI, L.C.L, Vol. I, London 1967.
- Virgilius, Aeneid: Books 7-12. Appendix Vergiliana, Virgil Volume II, L.C.L., London 2001.

٢- قائمة المراجع الأجنبية:

- Abraham Rees, The Cyclopaedia; Or, Universal Dictionary of Arts, Sciences and Literature, Vol. 2, London 1819.

- Alan H. F. Griffin, "Erysichthon - Ovid's Giant?", *Greece & Rome*, Vol. 33, No. 1 (Apr., 1986), pp. 55-63.

- Andrew Faulkner, "Fast, Famine, and Feast: Food for Thought in Callimachus' «Hymn to Demeter»", *Harvard Studies in Classical Philology*, Vol. 106 (2011), pp. 75-95.

- Bulloch A. W., "Callimachus' Erysichthon, Homer and Apollonius Rhodius", *The American Journal of Philology*, Vol. 98, No. 2 (Summer, 1977), pp. 97-123.

- Donald J. Hughes, Environmental Problems of the Greeks and Romans: Ecology in the Ancient Mediterranean, 2nd ed., USA 2014.

- Ioannis Ziogas, Ovid and Hesiod: The Metamorphosis of the Catalogue of Women, Cambridge University Press, New York 2013.

- Jackie Murray, "The Metamorphoses of Erysichthon: Challimachus, Apollonius and Ovid", In: M.A. Harder e.o. (eds.) Challimachus II, (Leuven 2004), pp. 207-241.

- Jerzy Manteuffel, "Callimachus and Roman Poetry", *Eos C* 2013 / fasciculus extra ordinem editus electronicus, pp. 68- 95.

- Karolyn Elizabeth Smardz, The Sacred Tree in Ancient Greek Religion, M.A., McMaster University, Canada (1979).

- Lee Fratantuono, "Tumulum Antiquae Cereris: Virgil's Ceres and the Harvest of Troy." Bolletino di studi latini XLV.II (Luglio-Dicembre 2015), pp. 456-472.

- Maria Barbara Kozakiewicz, The Imagery of Ceres in Representations of Imperial Women in the Julio-Claudian Period, Ph. D., Canada 1998.

- Massimo Giuseppetti, "Two poets for a Goddess: Callimachus' and Philicus' Hymns to Demeter"; In: Gods and Religion in Hellenistic Poetry, Hellenistica Groningana 16, Edited by: Harder M. A., Regtuit R.F. and Wakker G.C. , Leuven- Paris (2012).

- Matthew P. J. Dillon, "The Ecology of the Greek Sanctuary", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*, Bd. 118 (1997), pp. 113-127.

- Phillips O. C., "Lucan's Grove", *Classical Philology*, Vol. 63, No. 4 (Oct., 1968), pp. 296-300.
- Richard F. Thomas, "Tree Violation and Ambivalence in Virgil", *Transactions of the American Philological Association* (1974-), Vol. 118 (1988), pp. 261-273.
- Robert J. Ball, Tibullus the Elegist: A Critical Survey, Columbia (1983).
- Saskia Peels, *HOSIOS:* A semantic study of Greek piety, Ph.D., Utrecht Univ. Netherlands (2014).
- Susan-Marie Cronkite, The Sanctuary of Demeter at Mytilene: A Diachronic and Contextual Study, Ph. D, University of London 1979.

٣- قائمة المراجع العربية:

- التقويم، الشاعر الرومـــانى أوفيديوس، ترجمة: على عبد التواب على وآخرين، مراجعة وتقديم: على عبدالتواب على، المركز القومى للترجمة، العدد ٢٧٦ ط١ – القاهرة ٢٠١٦.
- جمـــال الدين السيد أبـــوالوفـــا، صورة ديميتر (كيريس) فى الأدبين اليونـــانى واللاتيني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢.
- عبدالله حس المسلمى، كاليماخـــوس القورينى: شـــاعر الإسكندرية، [القاهرة] (١٩٩٧-١٩٩٨).
- فرجيليوس ، الإنيادة، الجزء الثانى، ترجمة: عبدالمعطى شعراوى؛ محمد حمدى ابراهيم؛ أحمد فؤاد السمان، مراجعة: عبدالمعطى شعراوى، المركز القومى للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة (العدد ١٧٤٤)، القاهرة ٢٠١١.
- محمد حسن وهبة، أبوللونيوس الروديسى، رحلة بحارة الأرجو، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٨٤.